وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الدكتور مولاي الطاهر –سعيدة
كلية العلوم الانسانية والاجتماعية

قسم :الفلسفة عنوان الماستر : فلسفة عامة

مفهوم الثورة في الفلسفة الغربية المعاصرة
"هربرت ماركيوز نموذجا "

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة تخصص فلسفة عامة

إعداد الطالبة: إشراف:

بلهاشمي هوارية أ.د.موسى عبد الله

مقدمة

يكتسي مفهوم الثورة أهمية بارزة في الدراسات الفلسفية والسياسية ، عبر فترات التاريخ المتلاحقة ، وهو مايدل عليه حجم القراءات والكتابات التي تنوعت بين سياسية وفلسفية حولها ، فالثورة ليست مجرد كلمة وصفية ولا مجموعة أحاسيس تختلط فيها الرغبة في العدالة والعمل من أجل التغيير... ولكنها مفهوم نظري يكثف لحظات تاريخية محددة وينبني على معرفة موضوعية قدر الإمكان بواقع معين، ويرمز إلى عملية تحويل جذرية لوضع معين، ويحيل على تجارب ثورية مختلفة مثل الثورة الفرنسية والثورة البلشفية والثورة الأمريكية وحركات التحرر الثورية...

وهكذا نستطيع القول ان الثورة ظاهرة مهمة في الفكر و التاريخ الانساني. يحاول الشعب من خلالها عبر حركة سياسية ما إخراج السلطة الحاكمة. يستخدم في ذلك العنف او تكون بشكل سلمي او تقع نتيجة تفاوض بين السلطة الحاكمة والشعب الذي يريد التغيير . فالثورة اذن هي مجموعة من التغيرات السياسية و الاقتصادية والاجتماعية والثقافية تؤدي إلى تغيير جذري شامل في المجتمع,

وتظل مسألة الثورة مطروحة دوما، وهذا يعني أن الأمر يتعلق براهنيتها. فسواء تم حجبها بحجاب محتشم أو تم إغفال الكلام عنها بشكل تام، فإن حضورها يزداد عنادا وهو حضور يضرب جذوره في القدم ويفرض نفسه في الحاضر في نفس الوقت.

ونتيجة لهذا جعل الكثير من فلاسفة القرن العشرين مفهوم الثورة مفهوما مركزيا في إنتاجاتهم وبحوثهم وممارستهم النظرية انطلاقا من تجاربهم الواقعية والسلوكية وممارستهم لهذا الفعل وحضورهم الشخصي كشاهد عيان على مجموعة التحولات السياسية التي وقعت .

ومن الفلاسفة الذين اهتموا بالفكر الثوري النقدي هربرت ماركوزHerbert Marcuse احد اعلام مدرسة فرانكفورت النقدية, الذي عبر عنه الكثير من النقاد ان مكانته مهمة في الفكر الغربي الثوري المعاصر .. فهو ليس فيلسوفاً أكاديمياً يمتهن التعامل مع الأفكار الصعبة في أطرها النظرية وتعقيداتها الفلسفية وحسب ، ولكنه رجل فكر يتمتع بديناميكية وحيوية في قدرته على الانتشار .. فقد تبلور فكره

على شكل تيار فلسفي متمرد في الشارع الغربي وخصوصاً أمريكا و أوربا ، فحركة الطلاب في نهاية الستينات ارتبطت باسمه.،وأصبحت كتبه وتصريحاته شرارة توقد هذه الحركة الطلابية ، وتنظر آفاقها ومعطياتها.

انطلق ماركوز بمسعاه الفلسفي النقدي الثوري في محاولة لتقديم مشروع حضارة– لاقمعية تكون بمثابة عمل فكري إرشادي يستطيع من خلاله تحرير الوعي الانساني لإعادة دوره الفعال في بناء الحضارة, حضارة تنطلق من تصور أشكالا للحياة والعلاقات الإنسانية السائدة ينتفي منها الاستغلال والكدح, وهذا يؤدي إلى تحرر شخصي للأفراد الذين سوف يصنعون التحرر الاجتماعي إذ لاثورة دون تحرر فردي كما لا تحرر فردياً دون تحرر المجتمع, وهذا هو جدل التحرر الذي عمل ماركوز على احيائه بغية استعادة الجدل ما بين الممارسة والنظرية بما يتناسب مع الحضارة الجديدة.

ولقد كان مشروع ماركوز يستند إلى هيغل ، رغم أنه لم يكن هيجيليا، كما أنه يستند إلى ماركس رغم أنه لم يكن ماركسياً، وايضا الى فرويد رغم انه لم يكن كذلك ,

انطلاقا من هذا التصور المعرفي والفكري تاتي هذه الدراسة للبحث في :

مفهوم الثورة في الفلسفة الغربية المعاصرة، قراءة في مفهوم الثورة عند هربرت ماركوز

من هذا المنطلق نتحسس اشكالية بحثنا الرئيسية مستعيدة السؤال الذي لايزال يطلب حلاً: : مامفهوم الثورة في الفكر الفلسفي لهربرت ماركوز ؟ ماهي مختلف تجلياتها السياسية والفلسفية ؟

كيف سيتمكن الإنسان من تغيير الواقع السياسي والاجتماعي الذي يعتبر الإنسان بالذات واحداً من منتجاته?: لماذا لم تقم الثورة في البلدان الصناعية المتقدمة؟ وعلى وجه التحديد في البلدان التي افترضت النظرية النقدية الكبرى(الماركسية) أنها ستكون رائدة أقطار العالم اجمع إلى الاشتراكية، بل لماذا باتت شبه مستحيلة في عالم يمتلك منذ أكثر من قرن القوة الكلاسيكية للثورة، أي البروليتاريا الصناعية.؟

وضمن هذه الاشكالية نطرح التساؤلات الفرعية التالية :

ما المفهوم الاصطلاحي والفلسفي الذي يكتسيه مفهوم الثورة

- ماهي مختلف المقاربات العلمية والرؤى النظرية التي عالجت مفهوم الثورة ؟ .
- فيما تمثلت رؤية ماركيوز لمفهوم الثورة وعلى أي اساس بنى موقفه؟
- الى أي حد وفق ماركيوز في مقاربته ؟
- وما هي اهم تاثيرات هذا المفهوم على الفكر الفلسفي المعاصر
- ماهي الانتقادات والبدائل من الاطروحات التي يمكن الاستعاضة بها عن فكره ورؤيته ؟

ولقد امكننا احل هذه الاشكالية العودة الى الفرضية التالية:

تتحدد مخرجات ظاهرة الثورة نتيجة لعوامل متعلقة بالوعي السياسي ، عوامل اخرى متعلقة بطبيعة الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية المعاشة

ويندرج ضمن هذه الفرضية الفرضيات الجزئية الآتية :

1. تفسر الثورات في البلدان بالعودة الى طبيعة انظمة الحكم السائدة فيها
2. تتحكم في الثورات: سلوك النظام السياسي ومخرجاته ، الظروف الاجتماعية والظروف الاقتصادية .

وان الاهمية التي نرجوها من خلال مبحثنا تكمن في :

1 - الاهمية العلمية : ويمكن ادراجها في النقاط التالية :

أ. دراسة وتحليل مفهوم الثورة باعتبارها مؤثرة في عمليات تحول الخطاب الفلسفي السياسي

ب. ظبط العوامل تنتج مفهوم الثورة في الفكر الغربي المعاصر

2 - الاهمية العملية : ويمكن توضيحها للاعتبارات التالية :

أ. تتطلع الدراسة الى التعرف على اسباب نشوء الثورات والوقوف على اهم الرؤى النقدية والفلسفية التي عالجت المفهوم والاستعاضة بها في تفسير الملمح السياسي الغربي والعربي الراهن ومختلف اشكال التحول الذي عرفه .

كما تطمح الدراسة الى القاء الضوء على تصور مفهوم الثورة عند ماركيوز, اهدافها ,وشروط قيامها.

وتمثلت دواعي اختيارنا للموضوع في الاسباب التالية: يمكن حصرها في دواعي ذاتية واخرى موضوعية

فاما الذاتية :تكمن في :

– التطلع على فلسفة ماركيوز السياسية

–اثراء المكتبة الجامعية بمثل هذا الموضوع

مدى راهنية التصور المركيوزي في المشهد السياسي الذي تعرفه العديد من المجتمعات العربية والغربية

واما الموضوعية: يمكن حصرها في

أ.اثراء الدراسات التي تهتم بهذا النوع من المفاهيم

ب. التعرف على اشكال وانماط الثورات من حيث المفهوم والمحددات والعوامل المؤثرة فيها

ج. التعرف على العلاقات الارتباطية بين نتائج الثورات وطبيعة المجتمعات والانظمة التي تحكمها

اما فيما يتعلق بالمنهج, طبقا للقاعدة الابستمولوجية القائلة ان طبيعة الموضوع هي التي تحدد المنهج, وما العلم ان أي دراسة علمية تستلزم مراحل وخطوات تحدد وتضبط الباحث، بغية التوصل إلى المعلومات الدقيقة مستعينة مبدئيا بمجموعة من المناهج تتمثل في:

.1المنهج التحليلي الوصفي :وهو أسلوب من أساليب التحليل المركز على معلومات كافية وموضوعية عن ظاهرة أو موضوع محدد، أو فترة أو فترات زمنية معلومة، وذلك من اجل الحصول على نتائج علمية،

ثم تفسيرها بطريقة موضوعية بما ينسجم مع المعطيات الفعلية للظاهرة، وتم استخدامه في هذه الدراسة في جمع البيانات حول ظاهرة الثورة وذلك بقصد تشخيصها وكشف جوانبها

وتحديد العلاقة بين متغيراتها، وبينها وبين متغيرات أخرى، حسب ما تقتضيه أهداف الدراسة.

.2منهج دراسة الحالة :وهو منهج يهدف إلى الحصول على معلومات شاملة عن الحالة المدروسة، وذلك بالاهتمام بمختلف جوانبها وكذا مختلف العوامل المؤثرة فيها ، فهو بحث معمق في دراسة حالة من الحالات، وفي العوامل المعقدة التي أثرت فيها، والظروف المحيطة بها، والنتائج العامة والخاصة التي نتجت عن كل هذا، وهذا ما يتوافق مع دراستنا في دراسة الثورة عند الفيلسوف الالماني الامريكي ماركيوز مع هذه المناهج التي نعتقد أنها ستمكننا من تحليل وتشخيص موضوع الدراسة وتحقيق أهدافها إنطلاقا من الإشكالية المعتمدة.

3صعوبات البحث: ورغم ما استثارني من رغبة كبيرة في البحث في هذا الموضوع، إلا أنني واجهت صعوبات تكمن بالأساس في صعوبات البحث العلمي والتي يمكن تحديد بعض منها:

أولاً :ندرة مصادر ماركوز في الجزائر

ثانياً :أن ماركوز كتب معظم كتبه بالإنجليزية والألمانية، فلجأت إلى الترجمة، وما تحتويه هذه الأخيرة من صعوبة خاصةً وأن الترجمة قد تغير المعنى، لهذا فقد كانت ترجمتنا مجرد اجتهاد منّا.

ثالثاً :ندرة الدراسات حول ماركوز، سواء باللغة العربية أو باللغة الفرنسية، مما دفعني ذلك إلى البحث عنها في شبكة الانترنت هذه بعض الصعوبات التي واجهتني في أثناء بحثي هذا، لكن الإرادة كانت حاضرة، وحب المعرفة والتطلع إليها كانتا موجودتين، فذّللت هذه الصعوبات وأنجزت بحثي هذا.

اما عن ملخص بنية البحث: وضعت خطة تقوم على ثلاثة فصول كبرى ضمنتها أهم عناوين البحث

وتحتها مباحث جزئية ناقشت فيها كثيراً من المشكلات التي ترتبط بها، فبعد المقدمة، وفي الفصل الأول تناولت أهم مفاهيم البحث بالتحليل :خصصت المبحث الاول في مفهوم الثورة ,الثورة والمصطلحات المشابهة لها, و انواع الثورات , اما المبحث الثاني :فركزت فيه على اتجاهات تفسير ظاهرة الثورة.

أما في الفصل الثاني:فتطرقت الى النظرية النقدية وعلاقتها بمفهوم الثورة عند هاربرت ماركيوز.

حيث تضمن المبحث الأول :ثورة النقد عند مدرسة فرانكفورت لنتوقف بعدها عند هاربرت ماركيوز ونقد المجتمع المعاصر.

اما المبحث الثاني : والذي يعد جوهر البحث فخصصناه لمعرفة مفهوم الثورة والاسس الفلسفية لها عند هاربرت ماركيوز تم البحث في اطار النقط التالية:

الثورة الانطولوجيةالاجتماعية وتصور مفهوم الثورة عند هاربرت ماركيوز ثم تحدثنا عن

الثورة المؤجلة كحركة تحررية مستقبلا.اما بما يخص الفصل الثالث، فقد تناولته تحت عنوان

تاثير النظرية الثورية لدى ماركيوزعلى الفكر الغربي المعاصر تم التطرق في المبحث الاول الى تجليات هذا المفهوم على كل من الفكر الغربي المعاصر والفكر العربي والاسلامي المعاصروصولاً إلى خاتمة قمنا فيها بحوصلة أهم نتائج البحث، تاركين المجال مفتوحاً للبحث والإثراءوالنقد .لأن بحثنا هذا محاولة لفهم الحضارة الغربية في أبعادها الفلسفية و الاجتماعية والسياسية من خلال أحد من عايشوها وقام بنقدها، لنبين نقاط القوة ونقاط الضعف فيها. اما عن اهم دراسات السابقة والتي يرى "فان دالين FAN DALINE"من شانها تزويد الباحث بالعون اللازم لكي يضع أساسا سليما لبحثه ككل، فاستعراض هذه البحوث والدراسات يؤدي إلى إثراء فكر الباحث واستشارته، فيلاحظ ثغرات في المعرفة والنتائج المتضاربة، فأعمال غيره من الباحثين توقفه على الطريق للتصدي لمشكلته وعلى زيادة كفاءة عمله وتحسين نوعيته، وفي إطار دراستنا هذه وقفت الباحثة على جملة من الأدبيات والدراسات ذات العلاقة بالموضوع, سواء ما تعلق با هم مصادر هربرت ماركوز، التي

ترجمت إلى اللغة العربية، أو إلى اللغة الفرنسية مثل هربرت ماركيوز، الانسان ذو البعد الواحد، ترجمة جورج طرابيشي، دار الآداب، بيروت، 1988

الفن والسياسة في فلسفة ماركيز

هربرت ماركيوز، العقل والثورة ، ترجمة عبد اللطيف شرارة ، دار الآداب، بيروت،

هربرت ماركيوز، نحو ثورة جديدة ، ترجمة فؤاد زكريا ،

هربرت ماركيوز، نظرية الوجود عند هيجل ، ترجمة فتحي ابراهيم ،

بالإضافة إلى بعض المراجع المهمة التي ترتبط بالبحث بصفة مباشرة.

ولقد أردنا من خلال بحثنا هذا أن نحلل موقف أحد فلاسفة المجتمع الغربي من إشكالية سياسية اجتماعية ألا وهي إشكالية مفهوم الثورة، باعتبارضرورة العودة اليه لربط الاطار الفلسفي الثوري عند هربرت ماركيوز براهنية المشهد السياسي العربي والغربي الاني ورغم المجهودات التي بذلنها لإنجاز هذا البحث إلا أن مجال البحث فيه مازال مفتوحا إضافة إلى امتداداته الحضارية والفكرية يفتح افاق للمشتغلين بالحقل الفلسفي للمزيد من الاثراء والتطلع.

الفصل الاول

الفصل الأول : الإطـار النظري لدراسة مفهوم الثورة

يقول الكاتب الفرنسي دومناتش [1] Domenach: "لو وجه علماء اللغة جهودهم لرصد ما يكتبه الباحثون و النقاد في عصرنا الحاضر، فإنني أراهن على أن كلمة (الثورة) سوف تحظى بالأولوية من حيث تداولها".و هذا قول ينطوي على قدر كبير من الصحة، و يبعد عن المبالغة إلى حد كبير، فلقد تعرض الجانب المعرفي لمفهوم الثورة لكثير من التحليلات المتباينة، نظرا لاختلاف مجالات التخصص التي تناولته. فبينما يميز معظم الباحثين بين جوانب معينة لهذا المفهوم يكاد ينعقد اتفاقهم عليها ، هناك باحثون آخرون يميلون إلى التوحيد بين مفهوم الثورة و غيره من المفاهيم التي قد تتطابق معه أو تقترب من بعض المعاني التي ينطوي عليها على نحو أو آخر مثل التمرد ،الانتفاضة ، الاحتجاج ، التحول ،التغيير ، الانقلاب ، الاصلاح .و من هنا كان الإختلاف حول معنى هذا المفهوم و مضمونه مصدرا لزيادة تعقده و تشتت المعاني التي يمكن أن تلتصق به، و سببا أيضا في المغالاة أو الإقلال من خطورة هذه الظاهرة و تأثيرها في الفرد و المجتمع.

وحتى لا ينزلق بنا الحديث إلى مثل هذه الجوانب الخلافية، و حتى لا يتجه أيضا إلى مثل هذا الجدل **الفيلولوجي** [2]فانه يمكن القول ان مصطلح الثورة يمثل ميدان بحث مشترك يجمع بين العديد من فروع العلوم الإنسانية: كالفلسفة وعلم السياسة والعلوم الاجتماعية.

وعلى الرغم من التباين والاختلاف في منطلقات دارسي هذه الظاهرة وفي كيفية معالجتهم لها فإنهم جميعا يتفقون على دخول عناصر معينة في مفهومها ، مثل التغيير والتحول والتبديل ، والانتقال من حالة الى أخرى .

---

[1] J.M. Domenach, Pour en finir avec l'aliénation, rapport présenté au Congrès Esprit de mai 1965 , Congrès axé sur les problèmes du nationalisme , Esprit, December, 1965, p. 1058. Voir : *www.**esprit**.presse.fr/archive/review/rt_download.php?code=34618*

[2] الفيلولوجيا phillologie : يرجع هذا المصطلح إلى سنة 1960 ،ويعني دراسة النصوص اللغوية دراسة تاريخية مقارنة لفهمها والاستعانة بها في دراسة الفروع الأخرى التي يبحث فيها علم اللغة ، ويعني ايضا معرفة الأدب ودراسة نصوصه دراسة لغة معينة بالتحليل النقدي لنصوصها. للمزيد ينظر : جمال سيوفي ، مالفيلولوجيا (القاهرة :دار النهضة العربية ،1984).

وضمن هذا الإطار نحاول في هذا الفصل من الدراسة تحديد المعاني المختلفة لمصطلح الثورة والتفسيرات المتعددة لاستعماله ، وكذا دراسة مختلف المفاهييم المشابهة له ومختلف الاتجاهات الفكرية والتحليلية والفلسفية لدراستها .

المبحث الأول : دراسة في المفهوم والمصطلح

نبحث ضمن هذا المبحث مختلف الدلالة اللغوية والاصطلاحية لمفهوم الثورة ، التعريف وأصل المصطلح في اللغة اللاتينية وغيرها ، وفي جزء اخر يتم تحديد المفاهيم المختلفة للثورة اصطلاحا والمعالجات النظرية التي رافقته .

1 1 مفهوم الثورة:

1 2 يرتبط مفهوم الثورة [3]بالظروف المجتمعية والشروط التاريخية والحقب الزمنية التي أفرزته، وكذلك الثقافات السياسية للشعوب التي أنجزته؛ لذا فهناك مفاهيم عديدة للثورة، وأيًّا ما كانت سياقات تلك المفاهيم، فإن الثورة عادةً ما تحدث في فترةٍ زمنيةٍ قصيرة جدًّا، وغالبًا ما تحدث مناهضةً لأوضاع ظالمة، وعادةً ما يكون ما قبلها مختلفًا عما بعدها، وعادةً ما تستهدف تغييرًا للأفضل.

والمتأمل لمسيرة المفهوم الاصطلاحي للثورة يلحظ أنه قد تطوَّر عبر مراحل مختلفة، فكان يقصد بالثورة في البداية مقاومة الظلم أو إعلان السخط ضد الحاكم، ثم أخذت بعد ذلك مدلولاً سياسيًّا، ثم تطوَّرت لتأخذ

---

[3] جاء في لسان العرب من ثار الشيء ثَوْراً وثؤوراً وثوراناً وتثوَّر: هاج، والثائر: الغضبان، ويقال للغضبان أهيج ما يكون: قد ثار ثائرة وفار فائرة، إذا غضب وهاج غضبه. وثار إليه: وثب. ويقال: انتظر حتى تسكن الثورة وهي الهيج، وثار الدخان والغبار وغيرهما: ظهر وسطع) . اما في (المصباح المنير): (ثار الغبار: هاج، ومنه قيل للفتنة: ثارت وأثارها العدو، وثار الغضب: احتد، وثار إلى الشر: نهض، وأثاروا الأرض: عمروها بالفلاحة والزراعة). وجاء في (المعجم الوسيط): (ثارَ يثُور ثَوَراناً وثَوْراً وثَوْرةً: هاجَ وانتشر. وأثارَه إثارةً وإثاراً: هيَّجه ونشرَه، أما المعجم الفلسفي لمجمع اللغة العربية بالقاهرة فعرَّف (الثورة) بأنها: (نقطة تحوُّل في حياة المجتمع لقلب النظام البالي وإحلال نظام تقدمي جديد محلَّه، وهي بهذا تتميز من الانقلاب الذي يتلخص في نقل السلطة من يد لأخرى) [3]. والثورة مقابلة للتطور: فهي سريعة وهو بطيء، وهي تحوُّل مفاجئ وهو تبدُّل تدريجي). أما عن المعاني المقابلة للكلمة العربية (ثورة) أو (ثار) ، في اللغات الاجنبية « Revolution.» ، والجدير بالذكر انه يستخدم مصطلح الثورة في اللغة الانجليزية ليشير لنفس مضمون المصطلح اللاتيني وهو الخروج عن الوضع الراهن وتغييره – سواء إلى وضع أفضل أو اسوأ – باندفاع يحركه عدم الرضا، التطلع إلى الأفضل أو حتى الغضب . **للمزيد ينظر : ابن منظور، لسان العرب المحيط، ج.3 (بيروت:دار لسان العرب، ب.ت.ن) ص. 1011 ،[3] وايضا المصباح المنير للفيومي، المطبعة الأميرية بالقاهرة، ط 5، 1922م. ص: 121، و مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2004م. ص: 102**

مفهومًا سياسيًّا واجتماعيًّا واقتصاديًّا.اذ لم تعد الثورة تستهدف مجرد تغيير الفئة الحاكمة، بل أصبحت تستهدف تحقيق تغييرٍ جذري في الأوضاع الاجتماعية بقصد تحقيق حياةٍ أفضل للمواطنين، فهي فعل شعبي عفوي تلقائي غير منظم يهدف إلى إحداث تغيير جذري شامل في بنية النظام السائد في المجتمع، وتستمد الثورة شرعيتها، من قدرتها على الاستمرارية كبديلٍ يُضيء وجود الناس في حياتهم اليومية، ويتماشى مع رغباتهم ودوافعهم، ويلبي احتياجاتهم، سواء كانت سياسيةً أم ثقافيةً أم اجتماعيةً أم حضاريةً، ويدعم حرياتهم، الفردية والجماعية، ويضمن حقوقهم.

تظل الثورة عملية مفصلية في تاريخ الأمم والحضارات وحدثًا نوعيًّا يفرد سلطته ونشوته على كل الميادين، وتفرز قيمًا ومشاعر مبهرة كالتضامن والأخوة والتضحية والمصير المشترك. لذا يعبر عن الثورة في الاصطلاح بمعاني مختلفة باختلاف الحقول العلمية المشكلة له .

فهذا اندريه لالاند في موسوعته يعرف الثورة على انها مصطلح سياسي يعني الخروج عن الوضع الراهن وتغييره – سواء إلى وضع أفضل أو اسوأ – باندفاع يحركه عدم الرضا، التطلع إلى الأفضل أو حتى الغضب.[4]

اما معجم اكسفورد للفلسفة. فيعرف الثورة على انها جيشان او تغيير سياسي متطرف .تفهم اصلا عبر استعارة فلكية ، فالثورات Révolution كانت عمليات دورية تتحرك عبر اربع مراحل : الاستبداد ، المقاومة ، الحرب الاهلية ، ثم الاستجابة في الازمنة الحديثة ، عم المصطلح تلك الاشارة واصبح يدل على تغير في الدستور ، نظام الحكم ، والنظام الاجتماعي . التغير مقصود ومبرمج ، يتخذ وفق برهان ايديولوجي يعتبر النظام الاقدم استبداديا ، فاسدا او قمعيا ، ويعد بعصر جديد ويبرر الاثمان الباهضة التي تدفع عادة [5].

---

[4] أندريه لالاند ،موسوعة لالاند الفلسفية ،المجلد الثالث ،ترجمة خليل أحمد خليل ،بيروت :منشورات عويدات ، ص . 145

[5] تد هوندرتش ، دليل اكسفورد للفلسفة ،الجزء الاول ، ترجمة نجيب الحصادي ، ليبيا : المكتب الوطني للبحث والتطوير ،ص. 219

اما المعجم الفلسفي لجميل صليبيا فيعرف الثورة على انها تغيير جوهري في اوضاع المجتمع لاتتبع فيه طرق دستورية [6].

انطلاقا من التعاريف نصل الى القول ان للثورة تعريفات تتلخص بتعريفين ومفهومين ،التعريف التقليدي القديم الذي وضع مع انطلاق الشرارة الأولى الثورة الفرنسية وهو قيام الشعب بقيادة نخب وطلائع من مثقفيه لتغيير نظام الحكم بالقوة. وقد طور الماركسيون هذا المفهوم بتعريفهم للنخب والطلائع المثقفة بطبقة قيادات العمال التي اسماهم البروليتاريا. اما التعريف أو الفهم المعاصر والاكثر حداثةً هو التغيير الكامل لجميع المؤسسات والسلطات الحكومية في النظام السابق لتحقيق طموحات التغيير لنظام سياسي نزيه و عادل ويوفر الحقوق الكاملة والحريةوالنهضة للمجتمع .والمفهوم الدارج أو الشعبي للثورة فهو الانتفاض ضد الحكم الظالم.و قد تكون الثورة شعبية مثل الثورة الفرنسية عام 1789 وثورات أوروبا الشرقية عام 1989 وثورة أوكرانيا المعروفة بالثورة البرتقالية في نوفمبر 2004 أو عسكرية وهي التي تسمى انقلابا مثل الانقلابات التي سادت أمريكا اللاتينية في حقبتي الخمسينيات الستينات من القرن العشرين، أو حركة مقاومة ضد مستعمر مثل الثورة الجزائرية .(1962-1954) اما الانقلاب العسكري فهو قيام أحد العسكريين بالوثوب للسلطة من خلال قلب نظام الحكم, بغية الاستاثار بالسلطة والحصول على مكاسب شخصية من كرسي الحكم.

2-1 الثورة والمصطلحات المشابهة لها

تشترك مع مصطلح الثورة عدة مفاهيم متشابهة تتداخل معه من حيث وظيفة الفعل ،المعنى والدلالة ، وقصد تمييزه عن هذه المفاهيم نورد ضمن هذا المطلب بعضا منها

01-الانقلاب :

[6] جميل صليبيا ، المعجم الفلسفي :بالالفاظ العربية والفرنسية والانكليزية واللاتينية ،بيروت :دار الكتاب اللبناني ،ص.ص. 381-382

الانقلاب (le comptotعمل مفاجئ وعنيف تقوم به فئة او مجموعة من الفئات من داخل الدولة تنتمي في معظم الاحيان الى الجيش ضد السلطة الشرعية فتقلبها وتستولي على الحكم .وذلك وفق خطة موضوعة مسبقا [7].

ويتخذ الانقلاب عدة اشكال ففي بعض الحالات يتدخل الجيش ليفرض الحكومة التي يريد دون ان يشترك مباشرة في الحكم وفي حالات اخرى ، وهي الاكثر رواجا ، يتدخل الجيش بقوة ويستلم الحكم متذرعا بعجز المدنيين وسوء استغلال اللعبة الديمقراطية [8]

وتختلف الثورة عن الانقلاب الذي يمكن تعريفه بأنه فعلٌ منظمٌ تنفذه مجموعة محددة لها قدرات عسكرية وتنظيمية للسيطرة على السلطة من خلال إزاحة الممسكين بها والحلول محلهم، في حين أن الثورة حدثٌ يغير مسار التاريخ، وتستهدف تغييرًا سريعًا– وربما يكون– عنيفًا في بنية الدولة، وعند الماركسيين فإن الثورة مجرد إعادة للتوازن المفقود بين علاقات الإنتاج من ناحية وبين أدوات الإنتاج من ناحية أخرى، وعرفت الثورة في المجال الاجتماعي والسياسي بأنها تغيير مفاجئ في النظام الاجتماعي والسياسي والمؤسسي القائم.

والانقلاب يتميز عن الثورة في كونه لايتغير سوى الحكام لا النظام , والفرق بين الثورة وقلب نظام الحكم ، ان الثورة يقوم بها الشعب ، على حين ان قلب نظام الحكم يقوم به بعض رجال الدولة ، وثمة فرق آخر بين الامرين ، وهو ان هدف الثورة تغيير النظام السياسي او الاجتماعي او الاقتصادي ، وهدف الانقلاب مجرد اعادة توزيع السلطة السياسية بين هيئات الحكم المختلفة .والثورة مقابلة للتطور فهي سريعة ومن اشهر الثورات السياسية والاجتماعية التي حدثت في التاريخ الثورة الامريكية عام 1776،

---

[7] عبد الوهاب الكيالي ، موسوعة السياسة (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر) ص.ص.371-372

[8] المرجع نفسه ،ص.372

والثورة الفرنسية عام 1789 والثورة الروسية عام 1917 . وكل حركة تؤدي الى تغير جذري في المجتمع دون عنف او قهر فهي بمعنى ثورة [9].

02- العنف السياسي

حظيت ظاهرة العنف السياسي باهتمام كبير فهناك العديد من المفكرين الذين تناولوا هذه الظاهرة بغرض فهمها ودراسة كيفية معالجتها . من هذا المنطلق يؤكد المشتغلين بهذا الموضوع على أن العنف السياسي نتاج تفاعلات داخلية وخارجية، مثلته أربعة اتجاهات رئيسية، تمثلت فيما يلي [10]:

1- العوامل النفسية :Psychological Factors

يرجع أصحاب هذا الاتجاه إلى ان العنف السياسي مرتبط بالحالات الانفعالية الساخطة والملازمة للغضب والقلق، والمتمثلة في توقعات الناس وإحباطاتهم في محاولته لتحديد أسباب العنف السياسي طور "تيد جور" ، Teid Gurr 1970 مفهوم الحرمان النسبي Relative Deprivation وربط بينه وبين ظاهرة العنف السياسي. فالحرمان النسبي – كما يؤكد هذا المؤلف- يرتكز حول التفاوت المدرك بين توقعات الناس القيمية التي يعتقدون أنهم يستحقونها على النحو مشروع وقدراتهم القيمية التي يعتقدون أنهم قادرون على تحصيلها أو الاحتفاظ بها. وهذا التفاوت يؤدي إلى فجوة بين التوقعات والواقع [بين ما يتوقع المرء أن يحصل عليه وما يحصل عليه فعلا]، الأمر الذي يؤدي دون شك إلى حالة إحباط لدى أعداد كبيرة من الناس نتيجة لإخفاقها في تحديد أهدافها وطموحاتها.

وفي الاتجاه السيكولوجي نفسه يضيف "جيمس ديفيز James Davis 1962 ، أن العنف السياسي مرتبط ببعض المتغيرات الاقتصادية التي تحدث في المجتمعات. فالعنف السياسي- كما

---

[9] عبد الوهاب الكيالي ، مرجع سابق،ص.372

[10] .سهل راشد علي، ومصري عبد الحميد،حنوزه، **مستوى الإحساس بالصدمة وعلاقته بالقيم الشخصية والاغتراب، والاظطرابات النفسية عند الشباب دراسة ميدانية**، مجلة العلوم الاجتماعية" ، العدد الثاني، 2001جامعة الكويت ،ص.91

يقول– يقع بعد حدوث فترة طويلة من الازدهار الاقتصادي ثم يعقبها فترة قصيرة من الانتكاس الحاد. وقد استخدم نظرية الإحباط – العنف، والتي تنتج عن التناقض بين التوقعات والآمال من ناحية وما يحصلون عليه فعليا من ناحية العنف السياسي.

ويرى سعد إبراهيم جمعة " أن العنف السياسي نتيجة من نتائج القمع السلطوي ، وهو نتاج طبيعي لحالة عدم الثقة و الشك في القيادات السياسية، فإذا اجتمعت هذه العوامل فإنها تكون كافية في اتساع نسبة اللامبالاة السياسية، تبقى – والحالة هذه – القلة هي المنشغلة بالسياسة من واقع تحقيقها للمصلحة الخاصة وليس العامة، لأنها تتحكم في القرارات السياسية المصيرية كنتيجة لوضعية اللامبالاة السياسية، التي تصدر من جانب الشريحة العريضة التي تتربع على قاعدة هرم مستويات المشاركة السياسية " [11].

وأي يكن فان العنف السياسي يختلف عن الثورة في كونه يوظف لفرض وضع سياسي معين، أو للحصول على مكاسب سياسية بما في ذلك تغيير أو قلب حكم قائم. وبهذا المعنى فإن العنف السياسي يشير إلى نوعين من النشاط من حيث المصدر. فهناك عنف السلطة أو الدولة والذي يشتمل على عدد كبير من الأفعال التي تلجأ إليها السلطة الرسمية لفرض نظام معين، والمحافظة على النظام. وقد تلجأ السلطة الرسمية الى توظيف أساليب العنف لإخماد جميع أنواع الرأي المخالف خصوصا في المجتمعات التي تعاني الديموقراطية فيها أزمة خانقه ثم هناك نوع آخر ويتمثل في أفعال العنف التي توظفها الجماعات التي تعارض السلطة الرسمية [12].

03-<u>الاصلاح :la réforme</u>

يرتبط عادة مفهوم الاصلاح بدلالة الدين ، لذا فهو نقيض الإفساد ،والصلاح ضد الفساد، يقال رجل صالح في نفسه من قوم صلحاء،ومصلح في أعماله وأموره،ويقول الراغب في المفردات(الصلح يختص

---

[11] سهل راشد علي، ومصري عبد الحميد،حنوزه،مرجع سابق،ص.92

[12] سهل راشد علي , ومصري عبد الحميد,وحنوزة,المرجع سابق ،93

بإزالة النفار بين الناس, وإصلاح الله تعالى الإنسان يكون تارة بخلقه إياه صالحا،وتارة بإزالة ما فيه من فساد بعد وجوده،وتارة يكون بالحكم له بالصلاح[13].(

والاصلاح هو تغيير تدريجى جزئى سلمى. من خصائصه[14] :

اولا:التدرج: فكون الاصلاح تغيير تدريجى، فان هذا يعنى انه لا يتم بالقفز على الواقع، بل بالتدرج بالانتقال به مما هو كائن، إلى ما هو ممكن ، الى ما ينبغي أن يكون

ثانيا: الموقف النقدى (التقويمى) : ومضمون الاصلاح المعرفى هو الموقف النقدى (التقويمى)،وهو الموقف الذى يتجاوز كل من موقفي الرفض والقبول المطلقين، إلى موقف قائم على أخذ وقبول ما هو صواب ، ورد ورفض ما هو خطأ .

اما عن علاقة الاصلاح بالثوره: فنجد مذهبين فى تحديد طبيعة العلاقة بين المفهومين

أولا:مذهب الجمع: ويقوم على الجمع بين الإصلاح (كنمط تغيير تدريجي جزئي) والثورة(كمنط تغيير فجائي كلى) على وجه يرفع التعارض (التناقض) بينهما،من خلال مفهوم المفاضلة : اى من خلال تقديم الإصلاح على الثورة زمانيا وقيميا، وذلك باعتبار الإصلاح هو نمط التغيير الأصل، وبالتالي الالتزام به ،

ثانيا: مذهب الإفراد: وهناك مذهب الإفراد ويتضمن العديد من المذاهب التي تتطرف فى التأكيد على نمط تغيير معين (الإصلاح او الثورة) لدرجه إلغاء نمط التغيير الأخر، ومن أمثلتها مذهب الخوارج ،الذى استنادا إلى مفهومه فى الخروج تطرف فى التأكيد على الثورة" الخروج على السلطان الجائر" كنمط تغيير ، لدرجه إلغاء نمط التغيير الأخر اى الإصلاح، وإيه هذا أنهم لم يميزوا فى خروجهم بين نظم قانونيه شرعيه وأخرى غير شرعيه (مثال للأولى خلافه على ابن أبى طالب"رضي الله عنه"ومثال للثانية كثير من خلفاء الدولة الامويه)،فهم لم يميزوا بين التمرد والثورة .ومن أمثلتها أيضا قطاع من العلماء يرى شرعيه

---

[13] محمد عمارة ، الاسلام والثورة ، القاهرة : دار الشروق ،ص.ص. 13-16

[14] المرجع نفسه ،ص.15

السلطة التي لم تجئ من خلال بيعه صحيحة، باعتبارها عقد اختيار لم يدخله إجبار، وتستبد بالسلطة دون الجماعه، بدلا من ان تكون نائب ووكيل عنها، لها حق تعيينها ومراقبتها وعزلها ،ويرفض التغيير بأنماطه المختلفة (الإصلاح والثورة)، لذا أطلق عليهم اسم علماء السلطان.

4-الانتفاضة la soulèvement

تعرف الانتفاضة بانها حركة تمرد جماهيرية موجهة في الغالب ضد الظلم بمختلف اشكاله السياسية والاجتماعية والاقتصادية (لنتفاضة كاتالونيا/ لاسبانيا 1705)، الانتفاضة الفلسطينية).

ولان الانتفاضة كذلك فانها لا تصل في الغالب ، ونظرا لاقتصارها على رفض الواقع القائم ، الى مستوى الثورة ، بل تظل فقط بمثابة الممهد لها ....وهذا على الرغم من كل انواع القمع الذي تواجهه بها السلطة القائمة .[15]

5- العصيان L'insoumissin

يعرف العصيان بانه انتفاضة مسلحة ضد السلطة القائمة ، دونما مشروع سياسي او اجتماعي واضح بديل لتلك السلطة .

ولان العصيان كذلك فانه يختلف عن الثورة ، لانه يهدف الى مجرد تغيير سلطة بسلطة اخرى ... ان ذلك الاختلاف بين الثورة والعصيان هو ماعملت كل سلطة استبدادية على توظيفه لصالحها وذلك من خلال تقديمها على انها مجرد عصيان بهدف التقليل من شانها ومن شان ردود الافعال التي قد تنجم عن ضربها لها بعد ذلك . على ان كل ذلك لاينفي تلك الحقيقة التاريخية التي تؤكد ان العصيان كثيرا ماشكل المرحلة الاولى للثورة [16].

1-3 انواع الثورات

تتميز الثورة وتختلف باختلاف الاهداف والمحور الموضوع الذي يسعى من قام بفعل الثورة الى تحقيقه ، ولاجل ذلك يتم التطرق ضمن هذا المطلب الى ثلاثة انواع رئيسة من الثورات الا وهي : الثورة العلمية ،

---

[15] حمانة البخاري ، فلسفة الثورة الجزائرية ، (الجزائر : دار الغرب للنشر والتوزيع ، 2005) ص.43

[16] حمانة البخاري ، المرجع نفسه ،ص.42

اولا : الثورة العلمية :

يرد مفهوم "الثورة العلمية" في كثير من التحليلات التي تنصب على تاريخ العلم الحديث. ويختلف مدلول المفهوم من دارس لآخر؛ لكنه اختلاف لا يصل إلى درجة التضاد البين، لأن الاختلاف يرجع إلى التكوين الفكري للدارسين وإلى الثقل الذي يمارسه التخصص على توجهاتهم العامة... فتحليل الدارس السوسيولوجي لابد أن يختلف نوعا ما عن تصور مؤرخ الفن أو مؤرخ العلم، بحكم التخصص الذي يجعل الدارس يبرز عناصر معينة على حساب عناصر أخرى في التفاعل الفكري والاجتماعي؛ لذا تختلف الاستنتاجات والتفسيرات والتقييمات لمظاهر النمو والركود في المعارف. بيد أنه يمكن تكوين نظرة تحاول التركيب بين نتائج التحليلات التي يصل إليها باحثون ينتمون إلى حقول نظرية متغايرة[17].

فما نقصده بالثورة العلمية هو ذلك التحول الشامل الذي طرأ على كل مرافق الحياة العلمية والاجتماعية والعقدية والمؤسسية، خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر. إذ لا نقصد به ميلاد الفكر العلمي كما قد يتبادر إلى الذهن، لأن الفكر العلمي قد نشط منذ ثلاثين قرنا تقريبا، ثم تطور ببطء بحكم عوامل من مختلف الأوزان. وشمولية التحول تتضمن مظهرين أساسيين: يتمثل المظهر الأول في تسارع الإنتاج العلمي وإيجاد حلول علمية لأسئلة طالما أزعجت الدارسين حول حركة الأجسام وسر انتظام حركة الأجرام السماوية وطبيعة الضوء والمد والجزر وإعادة سبك المعارف العلمية القائمة التي أنجزها الإغريق والمسلمون خصوصا. ويتمثل المظهر الثاني في انتشار المعرفة العلمية لدى فئات عريضة من المواطنين، خصوصا أولائك الفاعلين في النشاط الاقتصادي والتقني والفني والسياسي، مما جعل القرارات والإنجازات في مجالات مختلفة تتأثر بنتائج العلوم في البصريات والميكانيكا والرياضيات. ثم أصبحت

[17] علي الدين هلال و نيفين مسعد :**المعرفة الانسانية : قضايا الاستمرار والتغير**، (بيروت :مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، 2002) ص.

التجارة والصناعة والفنون والطباعة الجديدة أدوات فعالة في نشر المعرفة العلمية وجعلها مثمرة في بناء تصور المشاكل العملية والتقنية على أسس متينة[18].

لا يجمع الباحثون –من الصعب أن نتصور إجماعا بين كل الباحثين– حول تحديد بداية التحول الشامل الذي نحن بصدده. فكل بناء استدلالي وكل حدث فكري وكل ظاهرة اجتماعية تنخرط تشعباتها في سيرورة ثقافية–تاريخية ممتدة في الزمان والمكان، حيث تسترسل فيما بينها وتتواصل حلقاتها بدون قطيعة صارمة. ولهذا فإن تعيين القرنين السادس عشر والسابع عشر لا يمتلك قوة مطلقة، بل يجب اعتبار ذلك التحديد بقدر معين من المرونة. بيد أنه من الطبيعي أن نشير إلى مميزات إنجازات جيل معين في حقل معين مقارنة مع إنجازات الجيل السابق في نفس الحقل؛ دون أن يعني ذلك إقرارا بخصوصية جديدة كل الجدة، بما أن الجديد يتطور دائما عن بعض عناصر القديم، وينفصل عنها لينتظم في علاقات عضوية مع مكونات التركيب الجديد. وقد كان مفهوم "الثورة" مستعملا بمعنى الدوران للعودة إلى المنطلق (كما في حركة الكواكب) حتى النصف الأول من القرن السابع عشر؛ ثم أصبح يستعمل بمعنى التغير الشمولي أو التبدل الجذري[19].

فالتغير الذي عاشته أوضاع الشعوب الأوربية منذ القرن الحادي عشر تقريبا اتخذ أشكالا مختلفة وبسرعات مختلفة حسب الفترات التاريخية وحسب المكونات الخاصة لكل مجموعة بشرية. ولهذا نجد مثلا أن ثورات الفلاحين كانت شديدة العنف في بوهيميا في أواخر القرن الرابع عشر وأوائل الخامس عشر، بينما اتخذ الصراع الاجتماعي شكل جدال فكري حول المعمار والفن والأدب والفلسفة في مدن شمال ووسط إيطاليا. وفي أوائل القرن السادس عشر اتسعت رقعة العنف ذي الأساس الديني في وسط ألمانيا بزعامة مارتن لوثر وتوماس مونتسر وآخرين حيث مات الآلاف من الناس، بينما كان التحول الثقافي

---

[18] المرجع نفسه ،ص. 102

[19] المرجع نفسه ،ص.102

والعقدي شبه سلمي لم يعرف إلا القليل من العنف في الأراضي المنخفضة، نظرا لخصوصية النشاطين الاقتصادي والأدبي المتميزين بالوفرة آنذاك.

إن التغير لا يحصل بنفس الحدة في كل المناطق، نظرا للفروق في توفر الخيرات الاقتصادية وأساليب توزيعها ونمو السكان... لكن ذلك لا يدل على استقلال المناطق الجغرافية والأنسجة الثقافية عن بعضها البعض. فالانتشار يطال كل مظاهر النشاط الثقافي والاجتماعي، لكن سرعة الانتشار وكثافته وبالتالي وقعه وحدته تكون بحسب ما تسمح به وسائل السفر والنقل ومستوى العيش لدى السكان. والتلاقح بين الأنسجة الثقافية والنمو الحضاري لا يشكل استثناء،بل هو القاعدة التي تحكم العلاقات بين المجموعات البشرية وتقاليدها الثقافية. إذن فإن العنف الذي مورس في وسط ألمانيا في ظروف اقتصادية واجتماعية وعقدية تتسم بالتأزم والتبعية المستغلة (إزاء الكنيسة المركزية في روما) لا بد أن تصل آثاره إلى الأراضي المنخفضة؛ لكنه يصبح هنا عبرة ومناسبة لإصلاح اجتماعي وعقدي وسياسي يسبق العنف، بل يتجنب درجة التأزم الذي عرفه وسط ألمانيا[20].

إذن فالتحول المفهومي العلمي الذي حصل في أوروبا خلال القرنين المذكورين لا ينفصل عن الأحداث السياسية والاجتماعية وعن النشاط الفكري عامة. لقد عرفت مجتمعات أخرى غير أوروبية –خصوصا المجتمعات الإغريقية والإسلامية– بعض العلوم، فتطورت عندها الرياضيات وعلوم البصريات والفلك والستاتيكا، لكنها لم تعرف انتشارا على مدى جماهيري واسع، ولم تصبح جزءا أساسيا من الحضارة السائدة في المجتمع، كما عرفته أوروبا خلال "الثورة العلمية"، وما أدت إليه من تجديد في الحياة اليومية للمواطن الأوروبي. ولن نهتم في هذا العرض بتفاصيل الحياة الاجتماعية والسياسية، بل سنركز على جوانب التحول المفهومي العلمي.

[20] علي الدين هلال و نيفين مسعد، المرجع نفسه ،ص.ص. 102-104

ومفهوم "الثورة العلمية" نحت من قبل فلاسفة الأنوار في أواسط القرن الثامن عشر بالمعنى الذي يعبر عن تحول الأفكار الأساسية حول العالم؛ فكان لا بد أن يلتحم المفهوم بمكونات المقام النظري السائد آنذاك، وهو مقام يتميز بالنقد اللاذع للأفكار التي تنتمي إلى الفترة ما قبل القرن السابع عشر. ثم تضاءل تداول هذا المفهوم نسبيا شيئا فشيئا كنتيجة للبحث في نمو الفكر وتطوره قبل ذلك القرن، مما بين أن العصور الوسطى لم تكن عصورا مظلمة تماما كما كان يظن. فكان من نتائج البحث في تطور الأفكار في العصور الوسطى والنهضة أن تضاءلت حدة التوتر والانفصال المسطرين بين ما قبل التحول المفهومي العلمي وما بعده، نسبيا. ثم طفا مفهوم "الثورة العلمية" ثانية على يد مؤرخ العلم ألكسندر كويري في أواخر الثلاثينات من القرن الحالي، والمؤرخ هربرت بترفيلد، فاستعمله كثير من مؤرخي العلم منذ ذلك الطفو. غير أن صعوبة تحديد الفترة الزمنية التي يحيل عليها المفهوم بالضبط، كانت وراء ملاحظات كثيرة حوله. فقد بدأ استعماله عند كويري محيلا على الفترة قبيل وبعيد عام 1600م. عندما توصل كاليلي إلى اكتشافات أساسية في الديناميكا والفلك قدمت أجوبة دقيقة لأسئلة قديمة باتت تشغل الدارسين. لكن كويري نفسه وسع الفترة الزمنية للمجال المفهومي الذي يدخل تحت مفهوم "الثورة العلمية" شيئا فشيئا، فأدخل إنجازات ديكارت الفلسفية الطبيعية في صلب التحول المفهومي العلمي. ولم يجد بدا من توسيع سعة المفهوم، حتى أصبح يشمل زمن كوبرنيك ونيوتن (أي من أوائل القرن السادس عشر إلى أواخر القرن السابع عشر)، لأن أعمال كاليلي وكبلر وديكارت تندرج في الدفاع عن بناء مفهومي قائم (مع بعض التعديلات) هو بناء كوبرنيك الذي وجد تتويجه في إنجازات نيوتن التجريبية والتنسيقية.

واضح إذن أنه لم يتم إجماع بين الدارسين حول المضمون الدلالي لمفهوم "الثورة العلمية". ومن هنا الشكوك التي يعبر عنها بعض الدارسين المتأخرين الذين يرون أن مصير هذا المفهوم سيكون نفس مصير مفهوم "النهضة" الذي نحت لوصف العصور الوسطى بعصور الجهل من أجل فهم خصوصية ما سمي بالنهضة. فمفهوم "النهضة" نحت في العشرينات من القرن السادس عشر تعبيرا عن شعور بالتجديد

الذي حققه القرن المنصرم. إذ كانت وراء نحت مفهوم "النهضة فكرة كون العصور الوسطى تمثل قرونا من الظلام تتوسط بين العصر الذهبي الإغريقي واستعادة مكوناته خلال القرن الخامس عشر. فإذا بسير الأبحاث التاريخية المعاصرة حول تلك العصور تكشف عن الاتصال المسترسل بين العصر الوسيط الذي كان يوصف بالظلام، والنهضة التي كانت توصف بالإشعاع. كما أن مفهوم "الثورة العلمية" نحت خلال القرن الثامن عشر تعبيرا عن أهمية منجزات العلم في القرن السابق. ويلاحظ فلوريس كوهن أن مفهوم "الثورة العلمية" قد فقد إشعاعه وجاذبيته على ضوء البحث في تاريخ العلم لدى الجيل المتأخر، حيث يقول: "وبعد كل شيء، فليست المفاهيم التاريخية إلا مجرد استعارات يجب على المرء الاحتراز من تشييئها [...] وأيضا، فإنني سأناقش مسألة اعتبار مفهوم الثورة العلمية مجرد استعارة. إنه يحيل مباشرة على حدث في الماضي أو حلقة [تاريخية] ذات واقعية لا جدال فيها: وهي بزوغ العلم الحديث". إذ أن مفهومي "النهضة و"الثورة العلمية" يعبران عن لحظتين تاريخيتين محددتين بالتقريب، تجعلان استعمالهما لا يخلو من إجرائية مفيدة من أجل فهم تاريخ الأفكار. ولا يمكن تمديد المجال الدلالي لمفهوم "الثورة العلمية" قبل أو بعد القرنين السادس والسابع عشر، لما سيضيف ذلك من إبهام بدل الإيضاح. وكما كتب رشارد وستفال، ويتفق معه في ذلك ربرت هل وكاتبا مقدمة الكتاب المشترك: "يستند مفهوم "الثورة العلمية" إلى إعادة التنظيم الجذرية لفهم الطبيعة، التي حصلت فعلا في القرنين السادس عشر والسابع عشر. أنا مقتنع بعدم وجود طريق آخر لفهم تاريخ العلم بدون الاعتراف بهذا الواقع، بحيث أنه إذا وسعنا من مفهوم "الثورة العلمية" ليضم القرن الثالث عشر سنحتاج إلى إبداع حد آخر لغرض التعبير عن التغييرات التي حصلت في القرنين السادس عشر والسابع عشر"(3). لذا، نرى أنه يجب الأخذ بمفهوم "الثورة العلمية"، وبقدر من المرونة، لأنه مفهوم يمكن أن يضيق أو يتسع، دون أن يدعي أحد أنه قد وضع حد للاختلاف حول مدلوله. فنرى أن مفهوم "النهضة" يدل على ذلك الثراء المهم في الآداب والفنون، من الربع الثاني من القرن الرابع عشر إلى الربع الأول من القرن السادس عشر؛ ومفهوم "الثورة

العلمية" يدل على التحول المفهومي–الاجتماعي الشامل خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر، بالتقريب[21].

ثانيا : الثورة الخضراء

يشير مصطلح الثورة الخضراء إلى الأساليب الزراعية المستحدثة التي استخدمت في المكسيك لأول مرة عام 1940 في المكسيك[22].

ونظرا لنجاحها المذهل في إنتاج محاصيل زراعية متنوعة (كالقمح والذرة) وزيادة إنتاجية الفدان الواحد من الأرض, فقد انتقلت هذه التكنولوجيا في مختلف أنحاء العالم بين عامي 1950 –1960.

تاريخ وتطور الثورة الخضراء... يعود تاريخ الثورة الخضراء إلى المهندس الزراعي الأمريكي نورمان بورلوغ الذي كان مولعا بمجال الزراعة.(حصل بورلوغ على جائزة نوبل عام 1970 وميدالية الكونغرس الذهبية عام 2007 لدوره في إنقاذ الملايين من الجوع في الهند والمكسيك والشرق الأوسط) وقد بدأ بورلوغ أبحاثه الزراعية في المكسيك عام 1940 من خلال تهجين أنواع من القمح ذات إنتاجية عالية و مقاومة للآفات الزراعية والأمراض. فبدأ بزراعة هذه الأنواع من القمح فعلا في المكسيك وكانت النتائج مشجعة جدا حيث أصبحت المكسيك تنتج القمح بكميات كبيرة تسد حاجة مواطنيها مع فائض غذائي كبير, وأصبحت من الدول المصدرة للقمح مع حلول عام 1960 بعد أن كانت تستورد نصف احتياجاتها من هذا المحصول قبل هذا العام[23].

ومن الدول التي استفادت من تجربة المكسيك على سبيل المثال الولايات المتحدة التي كانت تستورد نصف احتياجاتها من القمح هي الأخرى وبعد تطبيق أبحاث بورلوغ على أراضيها حققت الاكتفاء الذاتي

---

[21] علي الدين هلال و نيفين مسعد، المرجع نفسه ،ص.ص 105–107

[22] خليل العناني، الثورة ودورها في عملية تغيير بنية المجتمعات ، في:
http://www.arabaffairs.org/ArticleViewer.aspxID=b6d9f916-24d6-4329-a25d-0b361a5b7ca

[23] المرجع نفسه

عام 1950.ثم أصبحت من الدول المصدرة للقمح عام 1960 ودخلت نادي الدول المسماة سلة خبز العالم.

ثالثا : الثورة الثقافية

"الثورة الثقافية" هي النتيجة المباشرة "للثورة الفكرية" الثورة الثقافية هي نقطة إلتقاء الفكر بالواقع ..و المقصود هنا بالطبع هو الفكر "الثائر" .. فإذا إلتقى الفكر الثائر بالواقع فإن التغيير سريعاً ، و مع ذلك ، فإنه يجب أن يكون تغييراً بغير عنف .. "فالثورة الثقافية " ، على هذا هي التغيير السريع للأحسن ، من غير عنف .. هي تملك "سرعة" الثورة ، و تبرأ من "عنف" الثورة .. فالثورة الثقافية ، بإيجاز ، هي علم ، و عمل بمقتضى العلم .. و هذا ما به يحصل التغيير ..

و لما كان الفكر الثائر هو الذي يحدث الثورة الثقافية . يحدث تغيير الواقع بصورة سلمية ، و ثورية في آنٍ معاً . و لما كان الفكر الثوري فكراً دقيقاً ، و أصيلاً ، و نفاذاً ، و سليماً ، فإن تغييره للواقع لا بد أن يبدأ من داخل النفس البشرية .. ذلك بأن أي تغيير يقتصر على الخارج . على البيئة البشرية ، و البيئة الطبيعية . أعني: المجتمع ، الطبيعة ، لا يكون تغييراً سليماً ، و لا مستقيماً ، ذلك بأن التغيير الخارجي ، إنما هو صورة للداخل ، أعني للنفس البشرية ، فإذا كانت النفس خربة بالأحقاد ، و الضغائن ، و العداوات الرعناء ، في كلمة و احدة ، بالجهل ، فإن هذا الخراب يطبع بطابعه التغيير الذي يجري في المجتمع و في البيئة .. لقد كان العرب يعرفون الرجل المثقف بأنه هو الذي يملك محصولاً كبيراً من معرفة تاريخ العرب ، و أنسابهم ، و عاداتهم ، و أشعارهم .. ثم جاء وقت قريب أعتبر فيه المثقف هو الذي يستطيع أن يفهم حين يقرأ الكتاب العلمي ، أو المجلة العلمية ، و الكتاب الفني أو المجلة الفنية .. و مهما يكن من الأمر فإننا نعيش الآن في عهد إزدهار العلوم ، و الفنون ، و الفلسفات البشرية .. و تخرج المطبعة لنا عشرات الآلاف من الكتب الجديدة ، في صنوف المعارف ، كل يوم .. و يعتبر الرجل

المثقف عندنا هو الذي يتابع حركة التأليف ، و النشر ، في الكتب والمجلات[24]

المبحث الثاني اتجاهات تفسير ظاهرة الثورة

لم يقتصر تناول ظاهرة الثورة من حيث المعالجة النظرية على حقل معرفي بعينه ، بقدر ما كانت هناك حقول فكرية وعلمية عدة تناولته بالتحليل المعمق والدراسة الناضجة ، ولم تنل ظاهرة من العناية حتى تواترت عدة اتجاهات تفسيرية . وعلى كثرتها فانها تضعنا امام اتجاهات شارحة للظاهرة من زوايا سوسيولوجية وفلسفية وسياسية .

1-1 الاتجاه السوسيولوجي في تفسير ظاهرة الثورة:

ينظر علماء الاجتماع للثورة على انها تغيير مفاجئ سريع، ذو اثر كبير على الكيان الاجتماعي. و يحطم استمرارية الأحوال الراهنة فيه، حيث يصف هربرت بلومر مثلا الثورة بأنها تبتغي إعادة بناء وتنظيم النظام الاجتماعي كله تنظيما وبناء جديدا. ويرى كارل مانهايم أن الثورة عمل قصدي ، فهي تعني توقع حدوث وقصد إحداث تحطم في الكيان و التنظيم الاجتماعي الراهن ، فهي ردود أفعال الأفراد على الأحوال غير المرضية في حياتهم الاجتماعية ، ولكن بعد أن تنتظم في عمليات السلوك الجمعي .

ويعتقد علماء الاجتماع ان هناك اسباب عدة تؤدى إلى حدوث الثورات، حيث يرجح بعضهم الأسباب الغريزية (هربرت ميلر وسروكن) ، ويرجح بعضهم الأسباب الاقتصادية كالبطالة أو الصراع الطبقي (كارل ماركس) أو الاحتجاج على الضرائب(مريمان) ، ويرجح آخرون الأسباب العقائدية والفكرية–الايديولوجيه– والقيميه ممثله في طهور قيم وأفكار وعقائد جديدة، (دوركايم وبارك) ، كما يرجح بعضهم الأسباب الكارزميه ممثله في ظهور زعامة أو قيادة جديدة (توماس كارلايل وهيغل وسبنسر) ، كما يرجح آخرون الأسباب الحضارية ممثله في الاحتكاك الحضاري بين الشعوب، ويرجح آخرون

[24] محمود محمد طه ،الثـورة الثقـافية ، القاهرة : دار المعارف ،ط.4 ، مايو 1972 ،ص.ص78-80

الاسياب الديموغرافيه(السكانية) ممثله في التغيرات التي تطرأ على السكان كالتناقص أو التزايد السريع في السكان[25].

كما يرى علماء الاجتماع أن هناك بعض الظواهر الاجتماعية التي تميز مرحله ما قبل الثورة منها انتشار الاضطراب الاجتماعي(ومن أشكاله ازدياد نسبه الإخلال بالنظام والتمرد عليه ، وارتفاع معدلات الجريمة العاطفية والجنسية وحوادث الجنون...) ، وانتشار التشهير بنقائص النظام والتحريض على تغييره ، ويبدأ في هذه المرحلة أيضا تبلور إيديولوجي–فكرى– ثوري يوجه السلوك الجمعي نحو التغيير، و يذهب ادواردز إلى أنه لابد من بروز ظاهرتين في المرحلة التي تسبق الثورة وهما: انتقال وتحول ولاء المثقفين، وتكون الخرافة الاجتماعية (الحلم بتحقيق أوسع أهداف الثورة أو الذهاب بعيدا بها إلى حد التصور بتحقيق حياة مثالية). ويصاحب هذه المرحلة ضعف وانهيار قوة السلطة السياسية الحاكمة[26] ..

هذا وتمر الثورات وفقهم بمراحل متعددة، أهمها مرحلتين: الأولى منها تلقائية تفتقر إلى التنظيم، وتكون فيها الأهداف ذات طابع عام مجرد. أما المرحلة الثانية فتتميز بالتنظيم الواضح و تبلور الأهداف و ظهور القيادات .

و يتفق فريق كبير من علماء الاجتماع منهم بلومر، داوسون وهيوز، كشلو، بارك على أن القائد في الثورة في مراحلها الأولى هو من نوع المحرض. وفي المرحلة التي تكتسب فيها الثورة شرعيتها يكون القائد من نوع رجل دولة. وفي المرحلة اللاحقة التي تتبلور فيها الثورة يكون القائد من النوع الإداري .

كما يصنف علماء الاجتماع الثورات إلى أنواع متعددة طبقا لمعايير متعددة، فهي تنقسم طبقا لمعيار التسلح إلى مسلحة وسلميه. وهى تنقسم طبقا لمعيار الحقل الذي تحدث فيه إلى: سياسيه أو حضارية أو

---

[25] حاتم الكعبي ، في علم اجتماع الثورة، بغداد ،1959، عرض حميد الهاشمي، يوميه إيلاف الالكترونية

[26] المرجع نفسه

صناعية، و تنقسم طبقا للمعيار المادي التاريخي (الماركسي)إلى ثورات إقطاعيه وبرجوازيه وبروليتاريه وتحرر وطني .[27]

–ومن أسباب حتمية قيام الثورات علينا أن نستصحب رأي عالم الاجتماع الفرنسي "إميل دوركايم" الذي ربط ، مفهوم الثورة بـ "ظاهرة الفوران الجمعي"، والتي تعبر عن تحرك جماعي لا يمكن تجاهله، ويتضخم بصورة ملحوظة من دون ضمان الاستمرار طويلاً في حالة الفوران. وهي التي تتكون أساساً فيما بين الطبقات الأدنى في المجتمع، فالشعب يعيش حياة مزرية مرتبطة بالفقر في الأساس، إلى جانب نقص الحرية. ووفقاً لـ "جيدنز"، فإن الثورات تمثل طليعة الأساليب غير التقليدية في الحركات الجماهيرية المنظمة التي تُحدث تغييرات جذرية ـ في النظام السياسي السائد باستخدام العنف. وتتطلب الحركات الثورية ـ كما أشار جيدنز شروطا أساسية لاشتعال الثورة من أهمها أساليب استهواء الجماهير وتوجيهها، ويصاحبها عادة توترات وصراعات[28].

–من اسباب وضرورات قيام الثورات هو ما أرجعه "هوبزباوم" تفجّر الثورة إلى عوامل متراكمة عبر عدد من السنين أحدثت ضغطًا على القاعدة فولّدت الانفجار الذي يجسّد حالة الثورة. ففي السياق الأوروبي تحدّث "هوبزباوم" عن أزمات الأنظمة البائدة شمال العالم وغربه، ويحدّدها في فقدان الشّرعية واستفحال الاستبداد ومصادرة الحرية، بالإضافة إلى الأزمات الاقتصادية والاجتماعية في شمال أميركا وغرب أوروبا. وتمثّل هذه الأزمات القاسم المشترك مع الثورة التونسية التي اعتبرها مثالاً حياً لهذه الضرورات، حيث توالت في السنوات الأخيرة الأزمات الاقتصادية والاجتماعية وأزمات حقوق الإنسان والحريات، والتي أسهمت بشكل رئيسى في تفجّر هذه الثورة. وفي السياق العربي يمكن القول بأن الثورة هي نتاج تراكم عوامل ضغط اجتماعي واقتصادي وسياسي على القاعدة الشعبية ممّا أدّى إلى تفجّر الثورة[29].

---

[27] حاتم الكعبي ، في علم اجتماع الثورة ,مرجع سابق,ص.

[28] المرجع نفسه

[29] حاتم الكعبي ، في علم اجتماع الثورة ، مرجع سابق

-كما أن علينا أن نقرر لحقيقة أخرى هي أن لهذه الثورات أسباب نفسية تراكمية تنفجر حينما تبلغ الضغوط الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ذروتها ، فالعوامل النفسية هي التي تدفع بالشخص لكي يشارك في الحركات الثورية، ومن أبرز رواد هذا المدخل "جوستاف لوبون"، الذي يعرف الثورة على أنها " مجموعة من التحولات الفجائية في المعتقدات والأفكار والمذاهب، وأن المشاعر والعواطف هي دعائم المعتقدات السياسية والرئيسية، كما يرى علماء النفس أن الثورة تعبير عن سيكولوجية الحشد ويقارنونها مع الارتدادات إلى العقلية البدائية التي يمكن ملاحظتها في حالات الانهيار العصبي.

2-1 الاتجاه الفلسفي في تفسير ظاهرة الثورة

انطلاقا من تحليل المسار التاريخي للثورة ، وما طرأ على المفهوم من تغيرات بنائية ووظيفية،. يتبين ان استخدام افلاطون للثورة يعد الاول اضافة الى ارسطو .

فيُعد "أفلاطون" من أوائل الفلاسفة الذين عنوا بدراسة التغيرات التي يمكن أن تطرأ علي البناء السياسي، أما "أرسطو" فكان سباقا فى دراستة للثورات، حيث قدم أول محاولة شاملة لدراسة الثورة، وأفرد لها حيزاً كبيراً من مؤلفه الشهير "السياسة". وقد قبل مبدأ وجود الدولة، ولكن الأفكار الخاطئة تؤدي إلي الإحساس بعدم الرضا، وبالتالي حدوث انقلاب سياسي، قد يعمل علي تغيير شكل الدولة بما يترتب علي ذلك من نتائج سياسية، أي أن الثورة ظاهرة سياسية تمثل عملية أساسية لإحداث التغيير الذي قد يؤدي إلي استبدال الجماعات الاجتماعية. ويقول أرسطو في كتابه " السياسة " إن انماط الحكم كلها معرضة للثورة، بما فيها نمطا الحكم الأساسيان وهما الأوليجاركية والديمقراطية، وكذلك ما يسميه نظام الحكم المتوازن،[30] أو الدستوري، أو الأرستقراطي، والمصطلحات الثلاثة تكاد تكون عنده مترادفات، ورأى أرسطو أن في الأوليجاركية والديمقراطية عناصر من العدالة، ولكن كلاً منهما يصبح معرّضاً لخطر الثورة عندما لا يتلاءم نصيب الحكام أو الشعب من الحكم مع تصورهم المسبق عنه. ولا بد من ان نضيف إلى استخدام أرسطو مفهوم التصور " المسبق"،

[30] محمد علي عبد الخالق ، الثورة من وجهة نظر فلسفية ، **مجلة السياسة الدولية** ، القاهرة ،مركز دراسات الاهرام ، العدد 1002 ، ص.82

ويقسِّم أرسطو الثورات إلى نوعين: نوع يؤدي إلى تغيير الدستور القائم، فينتقل من نظام حكمٍ إلى نظام آخر، ونوع يغيِّر الحكام في إطار بنية النظام القائم. ففي هذا السياق نجد من يستخدم مصطلح الثورة كتعبير للدلالة على تغييرات فجائية وجذرية تتم في الظروف الاجتماعية والسياسية في مجتمع ما، حيث تشير هذه الظروف إلى تغيير حكم قائم وتغيير النظام الاجتماعي والقانوني، وقد يتم هذا التغيير بصورة فجائية عنيفة[31].

لقد قسم أرسطو في القسم الثامن من كتابه "السياسية" علل الثورات بناء على شكل أنظمة الحكم، فهناك علل الثورات في الاولغرشيات وعلل الثورات في الديمقراطيات، وغيرها من أشكال الحكم، حيث وضح من خلال طرحه، أن هناك علل مسببة للثورات تختلف باختلاف شكل الحكم، ولكنه قد وضع علة عامة للثورات في مختلف الدساتير وهي: اللامساواة، كمسبب أساسي وعام للثورات، حيث عبر عن ذلك بقوله " تلك هي العلة العامة بل يمكن أن يقال أنها ينبوع الثورات..

رغم الارهاصات الاولى لكل من افلاطون وارسطو الا الفلاسفة انقسموا إلى تيارين: الأول يرفض الثورة كوسيلة للتغيير ، ومن أعلام هذا التيار مونتسكيو الذي كان يرى أن الطغيان هو النظام الطبيعي في الثورات . و سوروكين الذي كان يصفها بأنها شذوذ وانحراف . و فليب جوستاف لوبون الذي كان يراها جهداً ضائعاً ، لأن المجتمع يمكنه أن يصل إلي ما وصل إليه بالثورة بدون التضحيات و الخسائر التي تطلبتها الثورة .أما التيار الثاني فيأخذ بالثورة كوسيلة للتغيير ومن أعلام هذا التيار كارل ماركس الذي يرى طبقا لمنهجه المادي الجدلي ومحصله تطبيقه في التاريخ (المادية التاريخية) أن الثورة هي محاوله لإلغاء التناقض في أسلوب الإنتاج بين علاقات الإنتاج وأدوات الإنتاج، والذي يعبر عن ذاته في شكل صراع طبقي بين الطبقة السائدة والطبقة المسودة، لذا وتطبيقا لذلك يقول لينين إن العلامة الجوهرية للثورة هي انتقال سلطة الدولة من طبقة لطبقة . وكذلك روبسبير الذي كان يرى أن الثورة هي حرب الحرية ضد أعدائها .(احمد اراجه، مفهوم الثورة، منتديات الفكر القومي العربي) وهربرت ماركيوز الذى كان يعتقد أن الطلبة هم مستقبل العالم لإحداث التغيير

[31] المرجع نفسه ،ص.82

بعدما فشلت الطبقة العاملة التي راهن عليها ماركس فى احداث هذا التغيير. وجان بول سارتر الذى رهن التغيير ايضا بالطلاب حيث يقول عنهم (تملكون خيالا أخصب من أسلافكم، أمر تفصح عنه تلك الشعارات المكتوبة على الجدران. يتدفق منكم شيء مدهش، مزعزع، يدين كل ما أدى إلى وصول مجتمعنا إلى ما وصل إليه من رداءة. ظاهرة اسميتها حقل الممكنات[32].

1-3 الاتجاه السياسي في تفسير ظاهرة الثورة

الثورة كمصطلح سياسي هي الخروج عن الوضع الراهن وتغييره – سواء إلى وضع أفضل أو اسوأ – باندفاع يحركه عدم الرضا، التطلع إلى الأفضل أو حتى الغضب. وصف الفيلسوف الإغريقي أرسطو شكلين من الثورات في سياقات سياسية:

1. التغيير الكامل من دستور لآخر
2. التعديل على دستور موجود

وهذا وتعني الثورة ايضا المواجهة بالتمرد الفردي أو العمل على تغيير الواقع ضمن حركة اجتماعية أو سياسية منظمة. حيث يختلف هذا النمط عن الانماط الاخرى اختلافا واضحا ، اذ أنه يمثل الاستجابة الباحثة عن تأسيس أهداف وإجراءات جديدة تكون مشتركة بواسطة الاعضاء الآخرين للمجتمع ، وهو لهذا يشير لجهود تغير البناء الاجتماعي والثقافي الكائن ، أكثر من جهود التكيف داخل هذا البناء. وهذا التكيف يؤدي بالناس خارج البناء الاجتماعي لرفض الأهداف والوسائل والبحث عن أخرى بديلة لها . وذلك يعني أنه يستهدف تعديلا كبيرا للبناء الاجتماعي . ومن ثم فهو يؤدي للاغتراب عن الأهداف ، والمعايير السائدة .وهنا يذكر ميرتون أنه في المجتمع الأمريكي تهدف حركات التمرد والثورة لتقديم البناء الاجتماعي الذي تعدل فيه المعايير الثقافية والذي يوفر التطابق التام بين الجهد والمكافأة .وقد عرض

[32] محمد علي عبد الخالق ،المرجع نفسه ، ص83

ميرتون[33] للتفرقة بين مفهوم التمرد والثورة وتناول **ماكس شلر Max Scheler**[34] لمفهوم السخط والامتعاض من المنظور السياسي، حيث يتضمن هذا المفهوم عنده عناصر ثلاثة تمثل العنصر الأول منها في شيوع الشعور بالكراهية والعداوة ، والغيرة . ويتمثل العنصر الثاني في الإحساس بفقدان السيطرة بالنسبة للتعبير عن هذه المشاعر بفاعلية ضد الأشخاص أو الهيئة الاجتماعية .. ويتمثل العنصر الثالث في استمرار إعادة خبرة العداوة . والنقطة الاساسية التي تميز مفهوم ميرتون عن مفهوم ماكس شلر، أي التي تميز العواطف المعقدة عن التمرد والثورة هي أن الاول لا يتضمن تغيرا حقيقيا في القيم في حين ان التمرد والثورة في الجانب الآخر يتضمن تحولا فعليا .

وعندما تعرض ميرتون بالشرح لعناصر فقدان السيطرة في المجتمع المحلي أشار الى ان ذلك يؤدي الى تكوين الجماعات الفردية المغتربة عن وضع المجتمع المحلي . وهذا النمط يمثل المغتربين في جماعات او الذين يصيرون جزء من حركة شباب ذات ثقافة فرعية خاصة بها.

وإذا ما نظرنا للأشخاص الراديكاليين او الثوريين وجدناهم ينسحبون من البناء الاجتماعي الكائن ويتحولون الى جماعات جديدة بإيديولوجيات جديدة . والتكيف خلال التمرد والثورة يقتضي مناقشة قليلة حول الواقع . وبمعنى ميرتون يعد التمرد والثورة النمط الذي يقوم على خطة واضحة ومختلفة عن الآخرين ، وهو يدل على الاستجابة التقليدية الخارجة لتنظيم أهداف جديدة للمجتمع . ومن ثم فهو يشير للجهود المبذولة لتغيير الثقافة الكائنة والبناء الاجتماعي أكثر من جهود التكيف داخل هذا البناء

---

[33] السيد علي شتا، .التنظيم الاجتماعي وظاهرة الاغتراب. دار الإصلاح للطباعة والنشر، الدمام، المملكة العربية السعودية.1984 ص.57.

[34] المرجع نفسه ،ص.57

وهنا نجد ان ميرتون في دراسة اخيرة يعدل رؤيته بان التمرد والثورة انحراف بنفس معنى التكيفات الأخرى ، مستخدما في ذلك سيقات مختلفة . ومن ثم يميز بين التمرد والثورة في جانب ، والابتكار والتجديد والطقوسية والانسحابية في جانب آخر [35] .

ان لفظ الثورة الذي هو من النتائج السلوكية المحتملة للتحرر من عبء الاغتراب يعبر عنه ايضا بالاشتراك في نشاطات تهدف إلى تغيير المجتمع بالإصلاح أو الثورة من خلال الاشتراك الحر في حركات اجتماعية وأحزاب تقدمية ثورية تعمل من اجل استبدال النظام السائد بنظام آخر يستند إلى نظرية إصلاحية أو ثورية ، أو التمرد الفردي حيث يتمرد المغترب بدل أن ينسحب أو يرضخ ، فيواجه المجتمع أو المؤسسات والأنظمة ويعمل على تغيير الأوضاع والتوجهات السائدة ، غير أن التمرد الفردي بحد ذاته لا يشكل حلا عاما ، فلا بد من أن ينشط الإنسان من ضمن حركات اجتماعية شعبية في سبيل تغيير الواقع تغييرا جذريا . ولأن هذه المهمة الثورية قد تشكل خطرا ، فإنها تتطلب جهدا يشدد على المسؤولية والتنظيم والتخطيط والنضال المستمر . من هنا إن الثورة ضرورية لأجل استبدال النظام السائد بنظام بديل يؤدي إلى التحرر من الظلم .فالاغتراب يولد في الإنسان حاجة نفسية ماسة إلى الإيمان والانتساب والبحث عن ماهية جديدة تتصف بها الحركات الثورية.

يرى حليم بركات في محاولته التنظيرية ان ثمة خطوات ومراحل تؤدي الى حدوث الثورات ، وفيما يلي نعرض المصفوفة التي يعتقد بركات انها بهذا التسلسل تؤدي الى حتمية الثورة

شكل رقم 01 يوضح مراحل الثورة الشاملة عند حليم بركات

1 - مصادر الثورة : التبعية ، الطبقية ، حالة الاغتراب ، السلطوية ، خلل عام في النظام السائد ، عدم قدرة النظام على مواجهة التحديات ، فشل الاصلاح الجزئي والتنمية ، انهيار شرعية الطبقة الحاكمة .

[35] السيد علي شتا، .التنظيم الاجتماعي وظاهرة الاغتراب. مرجع سابق،. ص.59

تأثير تفاعلي ⟺

المصدر :حليم بركات ، المجتمع العربي المعاصر :بحث استطلاعي اجتماعي بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ط.6 نوفمبر 1998 ، ص. 461

يذهب حليم بركات الى ان الثورة التي يقصدها هي تلك الثورة الشاملة (السياسية –الاجتماعية – الاقتصادية –الثقافية) التي تهدف الى استبدال النظام السائد بنظام آخر في سبيل تحقيق الاستقلال (أي انهاء حالة التبعية) الى الديمقراطية والعلمنة والوحدة العربية .... واحتمال نجاح الثورات واقع بفعل التناقضات والمشكلات المتفاقمة وبفعل حالة الاغتراب العامة .هناك عوامل موضوعية مثل التبعية والطبقية وغياب الشرعية لدى الانظمة السائدة ، فشل التنمية والاصلاحات السياسية ، والاحساس العميق بالاغتراب وهذا الغضب المكبوت نتيجة للقهر التاريخي المتواصل .

غير ان هناك عوامل اخرى يمكن ان تنجح الثورة منها ياب الحركات والقيادات الشعبية الثورية التي يمكن ان تحشد القوى وتتخذ المبادرة في الاوقات المناسبة .

ان حصول الوعي بهذه الفجوات الواسعة العميقة التي تفصل بين الواقع الذي نعيشه والحل الذي نسعى الى تحقيقه ، هو في اساس تكامل الاحساس بالاغتراب ، ورفض هذا الواقع رفضا جازما حادا ...وبضرورة تغييره تغييرا شاملا ....تحقيق الثورة تكون عبر حالة الياس الجارفة وواقع الانهزامات المتتالية ....ان العنف الذي يمارس على الشعب من الخارج والداخل سيؤدي بدوره في المدى البعيد الى تعميق العنف الثوري ، خاصة في ظل ياب الديمقراطية ، ولن تغني الانقلابات العسكرية عن الثورة الشعبية ، فقد ترسخت قناعة العرب بعدم جدوى هذه الانقلابات بعد فشلها الذريع[36] .

1-4 الاتجاه الديني في تفسير ظاهرة الثورة **– الثورة في الفكر السياسي الاسلامي**

مفهوم (الثورة) في العصر الحديث كما هو ثابت في العلوم الاجتماعية والسياسية المعاصرة، هو أمر لم يُعرَف في تراثنا الفكري والسياسي الاسلامي. لكن العرب والمسلمون الأوائل استخدموا الكلمة بعدة معانٍ منها: الهياج والانقلاب والتغيير والوثوب والانتشار والغضب. ففي لسان العرب لابن منظر نطالع حديث الرسول ﷺ "أثيروا القرآن، فإن فيه خبر الأولين والآخرين" وحديث "من أراد العلم فليثور القرآن" وتثويره قراءته والتدبر في معانيه وتفسيره. ونقرأ في القرآن" أَثَارُوا الأَرْضَ وَعَمَرُوهَا" (الروم 9) أي قلبوا وجهها... وأيضا بمعنى الانتصار للمظلوم في الآية: "وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ" (الشورى 39)[37]

وهي أيضًا الحركة من بعد السكون ..."اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا" (فاطر 9) أي تهيجه كي ينتشر، ونذكر بقرة بني إسرائيل التي كانت "بَقَرَةٌ لا ذَلُولٌ تُثِيرُ الأَرْضَ" (البقرة 71). كما استخدم العرب مصطلح "الملحمة" للدلالة على بعض معاني مصطلح الثورة فدل عندهم على التلاحم في الصراع والقتال

[36] حليم بركات ، المجتمع العربي المعاصر :بحث استطلاعي اجتماعي بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ط. 6 نوفمبر 1998 ،ص.ص.462-463

[37] عزمي بشارة ،مرجع سابق ،ص. 45

حتى جعلوا من أوصاف الرسول ﷺ "نبي الملحمة" حيث مارس التغيير بالوسيلتين معًا: القتال والإصلاح العميق.

وغير ذلك أيضًا لفظ الفتنة واستخدموا مصطلح "الخروج" وغلب على الأدب السياسي لكثير من فرق المسلمين ومدارسهم الفكرية، حتى اشتق منه اسم "الخوارج" لثورتهم المستمرة كما استخدموا أيضًا مصطلح "النهضة" لأن "النهوض" كالثورة يعني الوثوب والانقضاض وفي الحديث الذي يرويه ابن أبي أوفى نقرأ "كان النبي ﷺ يحب أن ينهض إلى عدوه عند زوال الشمس" رواه أحمد بن حنبل. وعدة أحاديث أخرى تستخدم مصطلح النهضة والمناهضة بمعنى البروز والوثوب والصراع مع الأعداء لإحداث التغيير والاقتحام للمستقبل وامتلاك الجديد وإحراز الفتح المبين! وقد ظل مصطلح النهضة بمعنى الثورة كذلك حتى أننا نطالعه في كتابات الأفغاني وسعد زغلول.

ويدعو الكاتب القارئ المتدبر للقرآن أن يراجع معه مصطلحًا آخر استخدمه القرآن للدلالة على "التغيير الثوري" ألا وهو "الانتصار". ويقول إضافة للمعاني السابقة إن الثورة تأتي أيضًا بانتقام للمظلومين من الظالم على تفاوت درجات الانتقام ومواطنه وكذلك "النصر" والانتصار. فالنصر يعني إعانة المظلوم، والانتصار يعني الانتصاف من الظلم وأهله والانتقام منهم. والقرآن يذكر الانتصار بهذا المعنى كفعل يأتيه "الأنصار" ضد البغي في سورة الشورى 37-43: "والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور. [38]"

لقد جرى استخدام عدة مصطلحات في ثقافتنا الإسلامية للدلالة على معانٍ مشتركة في ما بينها من جهة ومشتركة بصورة مَّا مع مفهوم (الثورة) في العصر الحديث من جهة أخرى؛ فتم استخدام مصطلحات

[38] محمد عمارة ، مرجع سابق ،ص.ص. 47-52

(التغيير) (الإصلاح) (التجديد) (التعمير). لكن المصطلح الذي وُصِف به الغرض من رسالات الرسل هو (الإصلاح). ولذلك اخترت أن أقابل بينه وبين مصطلح (الثورة).

مفهوم (الإصلاح):

لقد وردت مادة (ص ل ح) في القرآن الكريم بتصاريف متعددة، منها قوله – تعالى – على لسان نبي الله شعيب مخاطِباً قومَه: {إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} [هود: 88]، وقوله – تعالى –: {وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ} [البقرة: 25]، وقوله – تعالى –: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ} [البقرة: 220]، {وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا} [الأعراف: 56]، {إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ} [الأعراف: 196]، {إِنَّ اللَّهَ لا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ} [يونس: 81].[39]

نلاحظ من خلال هذه التعريفات لمفهومي (الإصلاح) و (الثورة) أمرين مهمين:

الأول: أن مفهوم (الإصلاح) يفيد زوالَ الفساد والتحوُّلَ للأفضل، ويشير إلى معنى التدرُّج في التغيير؛ بينما مفهوم الثورة يرتبط بالهياج والانتشار والفجائية والتغيير الجذري. كما أن (الإصلاح) في المفهوم الإسلامي يبدأ متصاعداً بالفرد ومن داخل النفس، لينتهي بالمجتمع والدولة: {إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ} [الرعد: 11]. بينما مفهوم (الثورة) يتجه إلى تغيير النظام السياسي.

الثاني: أن (رسالات الرسل وصفت بأنها (إصلاح) مع أنها كانت التغيير الأشمل والأعمق للواقع والفكر الذي بُعثوا فيه)[40] ، فقد كانت تغييراً جذريّاً على مستوى العقيدة والأخلاق والمفاهيم، ومع ذلك لم توصف

[39] عبد الواحد منذر ، الحركات الاسلامية والتغيير ، عمان :دار الكتاب الاكاديمي ،ط. 3، 2001 ، ص.49

[40] محمد عمارة (الثورة) ، مجلة (التبيان)، عدد 82، ص: 17.

بأنها (ثورة)، كما جاء على لسان سيدنا شعيب: {إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ} [هود: 88]؛ لأن هذه الدعوات على الرغم من أنها حملت تغييراً جذريّاً إلا أنها اتسمت بالتدرُّج والهدوء والمرحلية والسِّلْمِية، وهي المعاني التي لا يعرفها المعنى اللغوي للثورة فضلاً عن المعنى المعاصر لها في العلوم الغربية.

هنالك اربعة مفاهيم للثورة في الاسلام :[41]–

أولا: الإسلام يؤكد أن الخير والحق في الإنسان طبعي، فالدين الصحيح هو فطرة الله التي فطر الناس عليها (الروم 30) والرسالات إنما تذكر الناس بالحقيقة:" إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا" (الإنسان 29).

بالفطرة يتجه الإنسان نحو التوحيد، ويدرك أن السموات الأرض لو كان فيهما آلهة غير الله لفسدتا.(الأنبياء 22).

ثانيا: أن الكسب والإنجاز في الإسلام مقرون بعبارة جهد ومشتقاتها فالاجتهاد هو بذل الجهد لتحصي المعرفة خاصة الدينية. والجهاد الأكبر تعبير مجازي هو كبح الشهوات وتطويع النفس للخيرات.

والجهاد هو نشر دعوة الحق ولا يصير مثالا إلا إذا حالت دون ذلك الحوائل.

ثالثا: لقد شهد التاريخ قيام مجتمع إسلامي في الصدر الأول تحقق فيه ما جعله بحق مثلا قياسيا مجتمع يقوم روحيا على الإيمان وخلقيا على الفضيلة وسياسيا على الشورى اجتماعيا على الإخاء واقتصاديا على العدل والعمل.

لقد نشأت نظريتان ثوريتان في نطاق فكر وعمل هؤلاء المصححين، نظرية الخوارج التي انطلقت من مقولتهم بأن مرتكب الكبيرة كافر واتجهت نحو تكفير مخالفيهم والهجرة للنجاة من مجتمع الإثم الاستعداد لقتالهم ونظرية الزبدية المنتسبة لزيد بن على زين العابدين بن الحسين بن على وهي نظرية توجب على

---

[41] محاضرة الثورات الإسلامية والتحديات ألقيت على المعسكر الإسلامي العالمي بدعوة اتحاد طلاب جامعة أم درمان الإسلامية شعبان 1400هـ المواقف يوليو 1980م

الفاطمي الورع العالم الشجاع أن يشهر سيف العدالة في وجه دولة الفساد. لقد نادى الخوارج والزبدية والمعتزلة بالخروج على أئمة الضلال. بعض هؤلاء أوجب الخروج إذا كان عدد أهل العدل يبلغ عدد أهل بدر وآخرون أوجبوه إذا كان عدد أهل العدل النصف وآخرون أوجبوه بأي عدد كان.

المفهوم الثالث للثورة الإسلامية هو مفهوم التصحيح والعودة للمجتمع القدوة في الصدر الأول.

رابعا: لقد أخفقت جميع حركات التصحيح مما أصاب الأمة بخيبة أمل وطواها في قوالب جامدة:

أ. انطوى المتصوفون في فكر غيبي تقوم به في الواقع طرق صوفية توفر روابط وروحية لأهلها وتعزلهم من بقية المجتمع.

ب. وانطوى أهل السنة بما أقاموا من مذاهب تمثل تكوينات تخاطب المجتمع الإسلامي المثالي وتبعد عن الواقع.

ج. وانطوى الشيعة انطواء بدأه أئمة المذهب الاثنا عشري فزيين العابدين الإمام الرابع لقب لهدوء موقفه بالسجاد وهكذا حتى الإمام الحادي عشر الذي لقب بالصامت.

د. والخلاصة أن الثورة في تعريفها الأعم ومرادنا هي: "العلم الذي يوضع في الممارسة والتطبيق، من أجل تغيير المجتمع تغييرًا جذريًا وشاملاً ، والانتقال به من مرحلة تطورية معينة إلى أخرى أكثر تقدمًا، الأمر الذي يتيح للقوى الاجتماعية المتقدمة في هذا المجتمع أن تأخذ بيدها مقاليد الأمور، فتصنع الحياة الأكثر ملاءمة وتمكينًا لسعادة الإنسان ورفاهيته، محققة بذلك خطوة على درب التقدم الإنساني نحو مثله العليا التي ستظل دائمًا وأبدًا زاخرة بالجديد الذي يغير التقدم ويستعصي على النفاد والتحقيق."

الفصل الثاني

الفصل الثاني : سؤال الثورة عند هاربرت ماركيوز

تعد النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت أول تيار فلسفي . اجتماعي نقدي ومعاصر وجه نقده الى الأفكار التي دعا اليها عصر التنوير ونكص عن تحقيقها، في محاولة لوضع نظرية نقدية للمجتمع تربط بين التفكير والممارسة ربطاً جدلياً. حيث تعد كتابات مدرسة فرانكفورت بمثابة الأساس الذى نهضت عليه

النظرية النقدية فى الفلسفة ولا زالت تحظى بكثير من الاهتمام والدراسة حتى الآن [42].

ورغم ان هناك عدة تيارات داخل المنظومة النقدية (منظومة النقد الاجتماعى) يجمع بينها رفضها للواقع الرأسمالى وهيمنة التكنولوجيا الا أن أبرز ما ميز رواد فرانكفورت عن غيرهم هو انتقالهم من نقد المجتمع ومؤسساته الى نقد الفكر وآلياته، في محاولة لصياغة نظرية نقدية للمجتمع، وهو ما أثار اهتمام المثقف الأوروبي والأميركي وحرك في الستينات من القرن الماضي الشباب والطلاب للقيام بحركات اصلاحية في الجامعات والمؤسسات العلمية التابعة لها وكذلك في المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية[43]. والتي كانت افكار هاربرت ماركيوز بمثابة المحرض لها.

وبناء على ماتقدم سيتم ضمن هذا الفصل التركيز على النظرية النقدية التي يرتبط اسمها بمدرسة فرانكفورت وسيسلط الضوء على اسسها عند هاربرت ماركيوز وفي جزء اخر من هذه الدراسة يتم التطرق الى تصور مفهوم الثورة عند هاربرت ماركيوز.

يبقى النقد من أخطر الأدوات المعرفية التي من الممكن ان تقوم بها الفلسفة، ليس نقد الأفكار فحسب، بل ونقد ممارستها الفعلية في الواقع الاجتماعي وهو الأمر الأكثر أهمية ..

المبحث الاول : ثورة النقد عند مدرسة فرانكفورت

يتم التطرق ضمن هذا المبحث من الدراسة الى التعريف بفكر وفلسفة مدرسة فرانكفورت النقدية ، على اعتبار ان الحديث عن أهم ملامح مدرسة" فرانكفورت" يعد عتبةً أولى في تأصيل فكر"ماركيوز" التي تعتمد على أبعاد نقده وأصول الرؤية التي تعد المحرض الفكري على ذلك الموقف اتجاه الحداثة الغربية ,

---

[42] هانى خميس، النظرية النقدية و ازمة علم الاجتماع: دراسة تحليلية لكتابات مدرسة فرانكفورت ، رسالة ماجستير غير منشورة ، قسم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة الاسكندرية ، 2002 ،ص.122

[43] عواطف عبد الرحمن ، النظرية النقدية فى بحوث الاتصال دار الفكر العربى ، القاهرة ، 2002،ص.ص.55-57

بعد ان أصبحت هذه المدرسة اليوم أساساً لأغلب النظريات والاتجاهات النقدية لما بعد الحداثة، لذا سيتم القاء الضوء بايجاز على البدايات المبكرة لنشأة وتأسيس مدرسة فرانكفورت ,ومفهوم النظرية النقدية لديها واوجه النقد التي تتضمنها, وأهم مراحل التطور التى مرت بها، كذلك أهم منطلقاتها الفكرية، ، علاوة على أهم المفاهيم التى تبنتها.وسنسلط الضوء على هاربرت ماركيوز كواحد من اشهر روادها الذي عمل على نقد المجتمع المعاصر.

1-1 مدرسة فرانكفورت" التاسيس

شكل معهد البحث الاجتماعى الذى تاسس بجامعة فرانكفورت ، بقرار من وزارة التربية بتاريخ 3 فبراير 1923 [44]وافتتح رسميا فى يونيو 1924 النواة التنظيمية الأولى لمدرسة فرانكفورت.اذ عندما اسس كارل جرونبرج هذا المعهد اصبح فيما بعد تيارا فكريا ، من بين اكثر ممثليه شهرة ماكس هوركهايمر (1895-1973) وثيودر أدرنو (1903-1969) وهربرت ماركوز (1898-1978)، الذي برز نجمه اللامع في ستينيات القرن العشرين، كذلك إريك فروم (1900-1980) .,[1]بالإضافة إلى هابرماس Habermas الذي يعتبر الوريث الرئيسي المعاصر لتركة مدرسة فرانكفورت[45].

أما عن مصطلح "مدرسة فرانكفورت" فهو مصطلح غير رسمي يستخدم للتعبير عن المفكّرين الذين انتسبوا لمعهد البحث الاجتماعي أَو الذين تأثروا به. وهو لم يكن عنواناً لأي مؤسسة واقعية، وحتى المفكرون الرئيسيون لمدرسة فرانكفورت لَم يستخدموا هذا التعبير لوصف أنفسهم، فهو واحدا من تسميات عدة لهذا التجمع الفكرى بالاضافة الى تسميات أخرى عديدة لها مثل الماركسية الأوروبية Euro Marxism تمييزا لمفكريها عن التفسيرات التى قدمها منظروا الأممية الثانية والثالثة للماركسية، وفكر الهجرة Migrtion thought اضافة الى تسمية جورج لوكاش لها بفندق الهاوية الكبير دلالة على تعدد

[44] كمال بومنير ،التظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت : من ماكس هوركهايمر الى اكسيل هونيث ،منشورات الاختلاف ،الجزائر ، 2010 ،ص.79

[45] ينظر : توم بوتومور ، مدرسة فرانكفورت ، مرجع سابق، ص 17 وعواطف عبد الرحمن ، النظرية النقدية فى بحوث الاتصال ، 2002 ،ص 21.

الأطر النظرية والمنهجية لمفكريها [46].

في هذه المرحلة بلور المعهد، برنامج بحث أصيل حيث لم يعد الاهتمام فيه منصبا فقط على نقد الاقتصاد السياسي كأداة تحليل للمجتمع الرأسمالي كما كانت ترى الماركسية، بل اعتمد مقاربات تركيبية تقوم على ربط الفلسفة بالعلوم الاجتماعية والإنسانية كعلم الاجتماع وعلم النفس ولذلك يعد هذا الاتجاه بمثابة الانطلاقة الحقيقية التي أفرزت لاحقا ما عرف باسم النظرية النقدية .

ورغم انطلاق هؤلاء المفكرين من الماركسية كاطار مرجعى الا أن مواقفهم اختلفت حول القضايا المطروحة فى المجتمع الرأسمالى وتراوحت بين الالتزام المطلق بالماركسية (جرونبرج وفبلكس فيل) والالتزام النسبى (هوركهايمر و أدورنو وهابرماس) وأتفقوا على ضرورة التزام المثقفين بمواقف ايجابية نقدية ازاء مجتمعاتهم [47].

ومع استيلاء هتلر على الحكم في ألمانيا، أغلق المعهد وصودرت مكتبته، وغادر أعضاؤه، عام 1933إلى بعض العواصم الأوروبية، وأنشأوا فرعا له في جنيف أطلقوا عليه "المؤسسة العالمية للبحث الاجتماعى" وكونوا له إدارة جماعية، إضافة إلى فرعين آخرين في لندن وباريس. وبسبب التوسع النازي، اضطر هؤلاء المفكرون ثانية إلى مغادرة أوربا عام 1934، متوجهين إلى الولايات المتحدة، ونقلوا المعهد معهم إلى نيويورك باسم "المدرسة الجديدة للبحث الاجتماعي" ، ليستقر بعد ذلك في الحرم الجامعي لجامعة كولومبيا . ثم ما لبثوا أن انتقلوا عام 1941إلى لوس أنجلوس .

أثرت هجرة أعضاء المعهد إلى الولايات المتحدة في أعمالهم، ولذا فهم ومع انتهاء الحرب العالمية الثانية، وأفول النظم الفاشية والنازية، بدأوا تحليلا جديا للمجتمع الرأسمالي، الذي رأوا نمط صعوده الجديد في الولايات المتحدة، خاصة مع تنامي (المعجزة الاقتصادية) التي كونت رأسمالية قوية، حالت دون فعالية الطبقة العاملة في تحقيق أهدافها، وهذا ما يفسر توجه بحوث المعهد هناك إلى قضايا عديدة في

---

[46] علاء طاهر ،مدرسة فرانكفورت من هوركهايمر الى هابرماز :مدخل الى نظرية النقد المعاصر (بيروت :مركز الانماء القومي) ص.78

[47] عواطف عبد الرحمن ، مرجع سابق ،68

هذا المجتمع، كقضية السيطرة الشاملة، والقضاء على قيمة الفردية، والقهر التقني، وصناعة الثقافة. وعموما عاد معهد البحوث الاجتماعية مرّة أخرى إلى موقعه الأصلي في مدينة فرانكفورت حيث عرف لأول مرة باسم (مدرسة فرانكفورت) تحديدا لتكوينه الجديد كمدرسة نقدية ليشهد عام 1960 حله ونهايته[48].

1-2 اسباب النشاة:

من أهم العوامل التي دفعت الى نشوء هذه المدرسة ، هو ما تركته الحرب العالمية الأولى من آثار اجتماعية واقتصادية ونفسية وخيمة وما سببته من موت وخراب ودمار، وما تبعها من أزمات اقتصادية حادة وتحولات سياسية كبرى كان في مقدمتها الثورة البولشفية عام 1917 وتأسيس أول دولة اشتراكية في أوروبا، وكذلك قيام جمهورية ڤايمار عام 1919 في ألمانيا وما تبعها من صراعات وانقسامات سياسية في صفوف اليسار الأوروبي التي خلقت موقفاً ثالثاً كان أساساً لتشكيل فكر نقدي جديد يدور حول العلاقة بين النظرية وممارستها في الواقع الاجتماعي بحيث يصبح النقد هدفاً لكل فعالية ثورية. إن هذه العوامل وغيرها كونت اشكالية قامت على المسرح السياسي والفكري وشكلت «لعبة مأساوية» على حد تعبير هوركهايمر، دفعت بدورها الى تجمع «اليسار الجديد» في أوروبا، اجدادهم ، لمعالجة القضايا العميقة التي واجهتهم، وعقد ندوة «احياء الماركسية» التي شارك فيها كبار الفلاسفة والمفكرين، والذي أثرت على تطور النظرية النقدية ودفعت في الأخير الى تأسيس معهد للبحث الاجتماعي في جامعة گوته بفرانكفورت الذي هدف الى مواصلة البحث والنقاش والدعوة الى تأسيس نظرية نقدية من الممكن ان تقف أمام النظريات الاجتماعية التقليدية التي لا تزال تسيطر على الفكر الاجتماعي والفلسفي في الجامعات الالمانية.

1-3 مفهوم النظرية النقدية:

[48] علاء طاهر ،مدرسة فرانكفورت من هوركهايمر الى هابرماز،مرجع سابق ،ص.112

ليس من الممكن تناول فكرة الأصول النقدية لمدرسة فرانكفورت دون الإحاطة بالأسس الفكرية لما سمي في تاريخ الفلسفة الألمانية (بالنظرية النقدية). ذلك أنها منذ كانط (Kant)إلى نيتشه (Nietzsche) جعلت من النقد مكونا أساسيا للتأمل الفلسفي، لكن الجدير بالذكر ان هذا المصطلح اخذ منحى اخر مع رواد مدرسة فرانكفورت اذ أن «هذا الاتجاه الفكري قد أخذ على عاتقه مهمة نقد الممارسة الديمقراطية داخل المجتمع الرأسمالي من خلال فضح الهيمنة اللا مباشرة لمؤسسات الدولة على مسار تطور الوعي الجماعي، والكشف عن الديناميات «العقلانية» لردع كل محاولة جذرية تمتلك طاقة الرفض»[49].

ويقصد بالنظرية النقدية تلك النظرية التي كان ينطلق منها رواد مدرسة فرانكفورت في انتقادهم للواقعية الساذجة المباشرة، فالنظرية النقدية تعني نقد النظام الهيجلي، ونقد الاقتصاد السياسي، والنقد الجدلي وبتعبير آخر، فالنظرية النقدية هي تجاوز للنظرية الكانطية، والمثالية الهيجيلية، والجدلية الماركسية، فهي نقض للواقع، ونقد للمجتمع بطريقة سلبية إيجابية [50]. ويعني هذا بشكل آخر أن نقد متناقضات المجتمع، ليس فعلا سلبيا، بل هو فعل إيجابي في منظور مدرسة فرانكفورت. وعليه، اعتبر فلاسفة فرانكفورت، النظرية النقدية على أنها العلم النقدي للمجتمع. وبالتالي، فمهمة الفلسفة هي متابعة العملية النقدية، والتحري عن أشكال الاغتراب الجديدة. وقد أخذت مساهمته الخاصة شكل تحليل نقدي للعقل. ولما كان العقل قد صاغ في الماضي مثل العدالة والحرية والديمقراطية، فإن هذه ا لمثل حل بها الفساد في ظل هيمنة البورجوازية التي أدت إلى تحلل حقيقي للعقل. ومن هنا، بدت الحاجة إلى نظرية نقدية جدلية تستطيع أن تتعقل اغتراب العقل بالذات.[51]"

---

[49] طاهر علاء، مدرسة فرانكفورت، مرجع سابق ، ص 05.

[50] مدرسة فرانكفورت، ترجمة: سعد هجرس،دار أويا،طرابلس، ليبيا، الطبعة الثانية سنة 2004م، ص:13

[51] توم بوتومور، مدرسة فرانكفورت، مرجع سابق ،ص.206

وعليه، فالنظرية النقدية هي التي تحقق المصلحة الاجتماعية، وتراعي التطور الاجتماعي التاريخي في إطار المادية التاريخية، كما تهدف هذه النظرية إلى خدمة مصالح الأغلبية، والتصدي للأشكال الشكلية والتيارات اللامعقولة التي تخدم الأنظمة الحاكمة.

وفي هذا الصدد، يقول توم بوتمور (T.Bottomore) في كتابه " :مدرسة فرانكفورت " :"تؤكد النظرية النقدية على انتسابها إلى الماركسية، دون أن تضيع الاختلاف مع قراءاتها الكلاسكية، وبخاصة تلك التفسيرات والأطروحات التي قدمها رواد ومنظرو الأممية الثانية والثالثة، وعلى رفضها الاختيار بين التماثل المتناقض مع الفلسفة والعلم، بادعاء أن ما قدمته هو شكل جديد للموضوعية الاجتماعية التاريخية، وهو ما جعلها في تعارض مع الميتافيزيقا والوضعية[52]".

وتأسيسا على ما سبق، فالنظرية النقدية في الحقيقة هي رؤية نقدية إزاء المجتمع الرأسمالي الاستهلاكي في قمة تطبيقاته العملية واليومية.

1-4 مدرسة فرانكفورت" ومراحل تطورها الأربعة:

وإن كانت الممارسة النقدية هي سمة وخاصية هذه المدرسة التي لم تتخل عنها إلا أنه من الاختصار المخل إجمال كل هذه التجربة الفكرية بروادها وبتنقلاتها المكانية والفكرية و تبدل أجيالها فى جملة واحدة هي الممارسة النقدية ، حيث تمثلت مدرسة فرانكفورت باتجاهات فلسفية واجتماعية مختلفة يمكننا ايجازها بما يلي[53]:

1. اتجاه هوركهايمر وادورنو الذي تمثل بالمنهج النقدي الجدلي الذي يهدف الى توحيد النظرية بالممارسة العملية وتقديم نظرية نقدية للمجتمع تستطيع الوقوف امام فكرة التسلط، العنف وتسعى الى جعل الفكر النقدي ليبراليا وغير ليبرالي في الوقت ذاته.

2. اتجاه هربرت ماركيوز (1898 . 1984)، الذي تمثل في رفض المجتمع القمعي القائم والثورة عليه

---

[52] توم بوتومور: المرجع نفسه، ص.207

[53] توم بوتومور: المرجع نفسه، ص.105

من خلال تأكيده على الدور الحاسم والثوري للعقل في حياة الانسان وعدم النظر الى المجتمع من رؤية ذات بعد واحد.

3. الاتجاه النفسي . التحليلي الذي يتمثل بآراء ارك فروم والفرويديين الجدد، وهو اتجاه يقوم على مقدمات ماركسية في التحليل النفسي.

4. اتجاه يورغن هبرماس (1929) وهو اتجاه فلسفي انثروبولوجي يؤكد على دراسة الرأسمالية المتأخرة كمجتمع صناعي عقلاني ذو آيديولوجية تكنوقراطية، كما صاغها في نظريته في السلوك الاتصالي.

ولذا يذهب توم بوتومور إلى أنه يمكن التمييز في الواقع بين مراحل أربع واضحة المعالم في تاريخ "المعهد" و "مدرسة فرانكفورت." والتي تدل على ديناميكية هذه المدرسة.

المرحلة الأولى تقع بين عامي 1923– 1933 :الفترة التي كان يدير المعهد كارل جرينبرج المؤرخ الاقتصادي والاجتماعي وثيق الصلة بوجهة نظر الماركسيين النمساويين. جزء هام من عمل المعهد كان يحمل السمة الأمبيريقية بقوة ولم يكن المعهد يستوحي أثناءها مفهوما معينا للفكر الماركسي كما تجسد بعد ذلك في النظرية النقدية .

المرحلة الثانية هي مرحلة المنفى في أمريكا الشمالية ما بين عامي 1933–1950 والتي ترسخت فيها بشكل حاسم الأفكار المميزة للنظرية النقدية الهيجلية الجديدة، بوصفها المبدأ الموجه لنشاطات المعهد. وتعزز هذا الاتجاه عندما انضم إلى عضوية المعهد كل من ماركيوز عام 1932وأدورنو عام 1938. وفي المنفى، بدأ الأعضاء البارزين به، وبتوجيه من هوركايمر، في تمحيص آراؤهم النظرية بطريقة أكثر منهجية، لتشكل بالتدريج معالم مدرسة فكرية متميزة .

المرحلة الثالثة هي المرحلة التي تلت 1956: وانتشر تأثير المدرسة فيها في معظم أنحاء أوروبا، مع ظهور اليسار الجديد، كما امتد أثر المدرسة إلى الولايات المتحدة الأمريكية حيث ظل بها عديد من أعضاء المعهد، وبخاصة ماركيوز. هذه المرحلة هي مرحلة الذروة في التأثير الفكري والسياسي، خصوصا

في أواخر الستينات، مع النمو المتسارع لحركة الطلبة الراديكالية، في هذه الفترة ظهر ماركيوز أكثر من غيره بوصفه الممثل البارز لشكل جديد من الفكر النقدي الماركسي .

المرحلة الرابعة مع بداية السبعينيات :حيث انحصر تأثير مدرسة فرانكفورت ببطء، خصوصا بعد موت أدورنو 1969وهوركايمر 1973حتى انها حادت في سنواتها الأخيرة بعيدا عن الماركسية التي وهبتها الحياة في الأصل.. ومع ذلك شقت بعض المفاهيم الرئيسية لهذه المدرسة طريقها إلى مؤلفات الكثيرين من المشتغلين بعلم الاجتماع، سواء من الماركسيين أو غيرهم، كما أنها تطورت بطريقة مبدعة على يد هابرماس، فيما يتصل بنقد متجدد لشروط امكانية المعرفة الاجتماعية، وفي إعادة تقويم نظرية ماركس من التاريخ والرأسمالية الحديثة[54].

1-5 أبرز المفاهيم التى تعتمد عليها النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت:

قدّمت مدرسة فرانكفورت مجموعة من المفاهيم تجمعت حولها ومن أهمها:

-1الشيؤ : Reification حيث قام بصياغته لوكاتش مشيرا به الى اتساع نطاق صنمية السلع أو الولع الشديد بالسلع لتشمل الوعى الانسانى والمجتمع ويقول " ان العلاقات بين الناس تأخذ شكل أو طابع العلاقات بين الاشياء ، اذ تبتعد عن الطبيعة الاساسية للعلاقات بين الافراد[55]"

-2الهيمنة :Domination ما يهم منظري مدرسة فرانكفورت هو الكشف عن الطريقة التي يهيمن بها النسق (النظام الرأسمالي). وهى مقولة اساسية لرواد مدرسة فرانكفورت والنظرية النقدية حيث تم ربط نظرية ماكس فيبر التحول نحو العقلانية بالنقد المراكسى للراسمالية و الرؤية الماركسية الفرويدية للقمع.

وهناك ثلاث مجالات للهيمنة:

ا- العقل الأداتي :Instrumental Reason يحمل مضمونين فهو أسلوب لرؤية العالم، وأسلوب لرؤية المعرفة النظرية. فرؤية العالم بوصفه أداة، تعني اعتبار عناصره أدوات نستطيع من خلالها تحقيق غاياتنا,

---

[54] توم بوتومور ، مدرسة فرانكفورت ،مرجع سابق ،ص.155

[55] المرجع نفسه ،ص.167

فى مقابل ذلك نجد مفهوم العقل الموضوعى المقابل للعقل الذاتى الآداتى Objective theory of reason .[56]

ب- الانسان ذو البعد الواحد : One Diemntional man حيث راى ماركيوز ان وسائل الاعلام فى الدول المتقدمة تقوم باستخدام لغة البعد الواحد بمعنى تقييد لغة الفكر النقدى والحوار العام للمحافظة على الاوضاع السائدة فى المجتمع،

ج- الشخصية التسلطية : The Authoritrian personalityحيث تمت صياغة هذا المصطلح بمعرفة ادورنو و زملائة فى كتاب يحمل نفس الاسم عام 1950 يصف لنا نمط الشخصية الذى يتميز بالتماثل والخضوع الكامل للسلطة [57].

هكذا ولدت مدرسة فرانكفورت في قلب العاصفة، اندلاع الحرب العالمية الأولى، قيام الثورة البلشفية، إخفاق الثورة في ألمانيا، عدم نجاح الحركات الاشتراكية الراديكالية في أوروبا الغربية، ظهور الستالينية في الاتحاد السوفييتي وغياب الأمل بأن الاتحاد السوفيتى سيكون بديلا اشتراكيا حقيقيا، ظهور النظم الفاشية والنازية في إيطاليا وألمانيا، هيمنة النظم الرأسمالية وتعزيز سيطرتها الاقتصادية والأيديولوجية خصوصا بعد خروجها من الأزمة الاقتصادية الطاحنة التي مرّت بها في الثلاثينات. كل هذه الأحداث المثيرة خلقت لدى أفراد المدرسة رغبة في صوغ أساس لنظرية نقدية وممارسة أكثر قدرة وفاعلية على تفسير الظروف التاريخية المستجدة والتعامل معها[58].

ويتضح مما سبق مكانة النقد في الفلسفة الألمانية عامة، وداخل مدرسة فرانكفورت خاصة، مما يدفعنا إلى البحث عن تأثيراتها على أعضائها وبالخصوص ماركيوز الذي يعتبر نجم هذا المجال.

---

[56] كمال بومنير ، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت ،ص. 44

[57] هانى خميس، النظرية النقدية و ازمة علم الاجتماع: دراسة تحليلية لكتابات مدرسة فرانكفورت،مرجع سابق ، ص ص، 65-75

[58] هانى خميس، النظرية النقدية و ازمة علم الاجتماع ،مرجع سابق ، ،ص. 105

1-6 هربرت ماركيوزHerbert Marcuse [59] ومفهوم نقد المجتمع المعاصر:

نحاول هنا التطرق إلى تلك الأفكار التي تعد الخلفية النظرية لنقده بوصفه ينتمي إلى مدرسة "فرانكفورت" من خلال إشارته إلى هذا الأمر بقوله (فاني أتحمل بمسؤوليتي الكلية عنه وما يتعلق بموقفي النظري فاني أدين به إلى صديقي (ما كس هوركهايمر) وزملائه في (معهد الأبحاث الاجتماعية)القائم حاليا في مدينة فرانكفورت . ومن أجل فهم الأسس الجوهرية لنظريته النقدية لا بد لنا من استعراض الخلفية الفكرية والفلسفية التي قام عليها، بالعودة إلى الأب المؤسس للتراث النقدي ألا وهو «إمانويل كانط» (E. Kant)، الذي يتخذ النقد عنده مفهوماً جديداً يتعين على النحو الآتي:

1- النقد من جانب إيجابي يحاول تقييم حدود العقل، ومدى إمكاناته في نطاق التجربة الحسية، وهو تقييم هدفه الدفاع ضد نزعة هيوم الارتيابية.

2- النقد من جانب سلبي يتضمن تقييماً نقديًّا للعقل، حينما يحاول تجاوز أسوار التجربة، وفي هذا المعنى بين تهافت الفلسفة الميتافيزيقية الكلاسيكية، التي كانت تعتقد بإمكانية معرفة ما وراء الظواهر المحسوسة ، استفاد ماركيوز من مفهوم كانط للنقد إضافة إلى مفهوم الخيال Imagination كمفهوم له علاقة مع النقد، لكن بتغيير واضح، فإذا كان الخيال عند كانط هو ملكة تتوسط الملكة العقلية والملكة

---

[59] **هربرت ماركوزه** Herbert Marcuse (1898 – 1979) فيلسوف ومفكر ألماني أمريكي ،معروف بتنظيره لليسار الراديكالي وحركات اليسار الجديد ونقده الحاد للأنظمة القائمة. هاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية وانضم إلى معهد الدراسات الاجتماعية هناك في جامعة كولومبيا عام 1934. عمل خلال الحرب العالمية الثانية في أجهزة الاستخبارات الحربية الأمريكية (مكتب المعلومات الحربية ومكتب الخدمات الاستراتيجية) حيث عمل في الدعاية المضادة للنازية وتفكيك النازية. خلال الخمسينات درّس الفلسفة والسياسة بشكل متتابع في جامعات كولمبيا وهارفارد وبراندیس وفي جامعتي كاليفورنيا .أهم كتبه: العقل والثورة بالإنكليزية1941 Reason and Revolution : دراسة جدلية في النظريات الاجتماعية لهيغل مع اعادة تفسيرها وتتبعها عبر كيركغور وفيورباخ وماركس. كتاب الحضارة والرغبة 1955 بالإنكليزيةEros and civilization : الماركسية ، الإنسان ذو البعد الواحد1964 One Dimentional Man ، وهو أهم أعماله على الإطلاق بحيث وجه فيه نقداً مشتركاً للمجتمعات الرأسمالية والشيوعية بحيث ان المجتمعات الصناعية الحديثة خلقت احتياجات وهمية للإنسان ومن خلال أجهزة الاعلام والإعلانات تم توجيه جميع الأفراد للفكر اللاستهلاكي. للمزيد ينظر : علي شنا ، نظرية الاغتراب ، مرجع سابق.ص.194

العملية، فإنه يكاد يصبح عند ماركيوز ملكة منفردة تتحقق بها الرؤية الثورية للمستقبل، تحرير الحساسية من رباط العقل.

يبرز هربرت ماركيوز Herbert Marcuse مكانة النقد في الفكر المعاصر، وفي علاقته بالمجتمع الحداثي، مستندا على فلسفة النفي الهيجلية التي وجد فيها المرجعية الأساسية لنقد أسس ومبادئ الفكر المعاصر وإستنادا على هذا التصور الهيجلي أراد ماركيوز نقد وتفكيك المجتمع الصناعي المعاصر باعتباره «مجتمعا مغلقا»، فزيادة على قدرته في إجهاض محاولة الاعتراض عليه، يملك كذلك القدرة على توظيف جميع طاقات الإنسان المعاصر الجسدية والنفسية لغاياته المادية، فهذا المجتمع يمارس عنفا من نوع خاص، إذا ما عرفنا العنف مع «ارندات» بأنه لاشيء أكثر من التجلي الأكثر بروزا للسلطة»[60]، فبدلا من أن تكون التكنولوجيا قوة تحريرية في خدمة الإنسان المعاصر أمست عقبة في وجه التحرر، بتحويله إلى أداة، وعقله إلى عقل أداتي يخدمانها.

يعتبر ماركيوز الممارسة العقلانية التي يدعيها المجتمع الحداثي ليست سوى فرض التفكير الايجابي بدل التفكير السلبي، لإبقاء الأوضاع القائمة كما هي، وعليه يطرق ماركيوز، موضوع فلسفة التنوير من خلال إثارة أسئلة حول بنية العقل المعاصر. فيتساءل هل الصورة التي وصلت إليها الحضارة المعاصرة هي نتيجة لفلسفة التنوير؟، التي استبعدت الأبعاد المختلفة للعقل وجعلته يقتصر على العقل العلمي والتكنولوجي، وتم استبعاد أبعاد العقل الأخرى، مثل البعد النقدي، والخيالي، والجمالي، والأسطوري..الخ، ونتيجة لاتساع السوق وسيطرة العقل الحسابي أصبح الموجود المادي هو العقل الذي يتحكم في مصير الإنسان المعاصر، وتم إغفال الأبعاد الأخرى كدور العلم التحريري للإنسان مثلا [61].

لقد أصبح من الضروري نقد العلم الغربي في صورته الجزئية، الذي ساهم في تفتيت الوعي الإنساني،

---

[60] هوركهايمر ماكس، النظرية التقليدية والنظرية النقدية، ت: مصطفى الناوي، عيون المقالات، ط 01، بيروت، 1990، ص.77

[61] هربرت ماركيوز, العقل والثورة, مرجع سابق, ص.133

وفي خلق أسطورة المردود والعقل الاستهلاكي فأي نقد لهذه الحضارة يجب أن يبدأ من نقد العقل أولا وإذا كانت فلسفة التنوير تدعونا إلى استخدام العقل في كل شيء، فإن ماركيوز يدعونا إلى استخدام العقل في مجال جديد هو نقد العقل نفسه، بدل استخدامه كماكينة اجتماعية للسيطرة والقمع . لأن فلسفة التنوير اهتمت بدراسة جهد الإنسان في الإنتاج والتأثير على الطبيعة دون الاهتمام بالحركة الاجتماعية الناجمة عن ذلك، ودون الولوج إلى الأبعاد الأنطولوجية للإنسان .

إذن هي عودة العقل إلى اللاعقل، إلى الخرافة. هربرت ماركوز يؤشر إمكانية رجوع الفكر العقلاني إبان تقدم الحضارة إلى الحالة الميثولوجية، وكما يشير: ": ما زالت عناصر التضليل الأسطوري تستخدم إلى اليوم، وتستعمل بصورة منتجة في الدعاية والإعلان والسياسة. فالسحر والخزعبلات يمارسان تأثيرهما على نحو روتيني ويومي في البيت والمخزن والمكتب، وينتشي الناس ويشدهون بالإنجازات العقلانية التي تحجب لاعقلانية النظام " [62]

لذلك يرى ماركيوز أنه فى المجتمع التقني ينحو الإنتاج منحى الكلية totalitarian ليحدد الحاجات الفردية و نشاطات الحياة الاجتماعية ، فتزول الحدود بين عالم الحياة الخاص و العام ، و تندمج الحاجات الفردية بالحاجات الاجتماعية ، هذه الكلية (التوتاليتارية) سمة مشتركة بين أنظمة أوربا الشرقية و الأنظمة الرأسمالية [63].

يرى ماركيوز ايضا أنه و على الرغم من أن التطورات التكنولوجية اللا متناهية ، إلا أن المجتمع الصناعي التكنولوجي المعاصر ذو نزعة كلية استبدادية سياسياً و اقتصادياً ، ويحقق تحكمه عبر تصوير بعض المصالح الخاصة لفئة معينة كما لو أنها مصلحة عامة ، و الإشكالية هنا أن القمع السياسي لا يتم بالطريقة البدائية السافرة إنما يتم عبر نظام نوعي للإنتاج و التوزيع مترافق مع تعددية حزبية و صحافة

---

[62] هربرت ماركوز "الإنسان ذو البعد الواحد" ترجمة جورج طرابيشي . دار الآداب/ بيروت ط3/ 1988. ص. 46

[63] عمار عكاش، قراءة في كتاب الإنسان ذو البعد الواحد لهربرت ماركيوز :من القمع السافر إلى الهيمنة ، الحوار المتدمن ، العدد 2062 بتاريخ 8-10-2007 ص. 89

حرة و فصل للسلطات مما يموّه العملية ، و يجعل الاستبداد ذا عباءة ديمقراطية

لذلك فهو يرفض التصور القائل بحيادية التكنولوجيا ويراها آلية من آليات الاستبداد [64]:

لكن ما هي التهديدات التي تحملها هذه العقلانية على وجود الإنسان المعاصر؟

أ)- العقلانية التكنولوجية ونقد العقل الاستهلاكي:

يوضح ماركيوز أن العقلانية التكنولوجية المعاصرة تفرض نوعا من «التفكير الايجابي» الأحادي البعد ونظرة إلى الوجود أحادية الجانب، وتقصي من الذهن كل محاولة للنقد والسلب، فهذا الترويض الفكري الذي تمارسه يشكل عائقا إبستيمولوجيا أمام تقدم الأفكار، وتحول دون السلب الرافض للأفكار السائدة، يقول: «إن العقلانية التكنولوجية هي في سبيلها إلى تصفية العناصر المعارضة والمتعالية في الثقافة الرفيعة »[65] ، كما شرح ماركيوز أسباب انكفاء النقد وتخدره في المجتمع التقني الرأسمالي حيث أنه في ظل المجتمع الصناعي المعاصر الذى وصفه بالطابع الكلى فإن أسس النقد يتم تقويضها ، من خلال تكريس منظومة كاملة للسيطرة و الهيمنة قوامها التقنية .

وكأنه يحاول وضع حد لهذا السرطان المستفحل المسمى «العقل التقني وذلك «أن العقل بوصفه المعرفة النامية والتطبيقية للإنسان، أي بوصفه «فكرا حرا» كان له دور أساسي في خلق العالم الذي نحيا فيه ومع ذلك فقد كان له أيضا دور أساسي في الإبقاء على الظلم والشقاء والعذاب، غير أن العقل وحده هو الوسيلة الكفيلة بتصحيح أخطائه»[66].

إن التأزم الذي يشير إليه ماركيوز هو نهاية العقل عامة إلى التحجر، ومن البديهي «أن الفكر الذي لا يتطور يتعفن» بمعنى أن على كل فكر ينشد الحياة والديمومة لا بد أن يتطور، وهذا التطور لا يتأتى إلا بالنقد والمراجعة الدائمة، هذا هو الحال مع الفكر، فما بالك بالعقل الفلسفي حامل راية التأمل

---

[64] المرجع نفسه ،ص.92

[65] نيتشه فريدريك، أفول الأصنام، ت:حسان بورقيه.محمد التاجي، إفريقيا الشرق، بيروت، 1966، ص07

[66]نيتشه فريدريك، أفول الأصنام، ت:حسان بورقيه.محمد التاجي، إفريقيا الشرق ، مرجع سابق ، ص07

الإنساني، لكن ما يتأسف عليه ماركيوز ونلحظه في المجتمع، هو على العكس تماما لما تطلعت إليه تحليلاته، «فلقد دخلت عناصر العقل الناظمة في صراع مع عناصره الهدامة وعارض الفكر الايجابي الفكر السلبي، إلى أن كفلت منجزات الحضارة الصناعية الانتصار للواقع الأحادي البعد وخفضت من حدة مختلف التناقضات»[67].

ب) التفكير الايجابي وتحجر النقد:

وضع ماركيوز الواقع الراهن موضع مساءلة، هذا لأن إدعاء المجتمع الحداثي بالعقلانية لا عقلاني، فالمدنية التقنية تستعبد الإنسان وتشيؤه(Réification) ، وهنا ينصب ماركيوز نفسه طبيبا نفسانيا للمجتمع المعاصر الذي يعاني من «الفصام»، فهو من جهة يدعي العقلانية، فيتكلم عن الازدهار والتقدم، ومن جهة أخرى يعمل بطريقة لا منطقية، ويطور أسلحة الفناء الذري، إذن فالحفر تحت قشرة الحضارة التي تبدو عقلانية، ينكشف تحت هذا اللحاء الخارجي باطنا مفارقا لما نراه، إنها قوى لا عقلانية تهدد بدمار المدنية الإنسانية.

ان المحاولة النقدية لماركيوز لها مرجعيتها السوسيولوجية، لأن العقل يطغى على آليات الحياة الاجتماعية وأنماطها، ويمكن المنطق الأعلى الدولة أو ما يسميه هوركهايمر «العقل التوتاليتاري» من سحق المعارضة « فالسلطة أصبحت تحل محل العقل، والخضوع محل الحرية، والواجب محل الحق »[68] ، مما جعل التفكير في الثورة والتغيير أمرا مستبعدا، وهذا ذو تأثير سلبي كبير على الوعي الطبقي العمالي، كونهم توقفوا عن التفكير النافي الثوري، يقول ماركيوز:« إن القدرة على التفكير السلبي هو القوة الرافعة للفكر الجدلي التي تستخدم أداة لتحليل عالم الوقائع من خلال ما فيه من نقص باطن ».[69]

وعلى حسب إعتقاد ماركيوز فحرية المجتمع ووعيه مؤسسة عن طريق وكالات الإعلام، فوجدان

---

[67] المرجع نفسه ، ص. 192

[68] نيتشه فريدريك، أفول الأصنام، ت:حسان بورقيه.محمد التاجي، إفريقيا الشرق ، مرجع سابق ، ص . 45

[69] أنظر: شاتلي فرونسوا، تاريخ الأفكار السياسية، ت: خليل أحمد خليل، معهد الإنماء العربي، ط 01، بيروت،1984، ص.565

الناس وصور تفكيرهم مفروضة سلفا، ليغدو الإنسان لا يفكر بل يفكر له ، على شاكلة (أفكر لك، أقرأ لك)، فالعادات الفكرية تؤدي إلى استجابات سلوكية إنفعالية معينة تربط المستهلك بالمنتج، الكل يرغب ويفكر وفق ما يقدمه السوق وأجهزة النظام الثقافي، لقد أضحى العقل في عصرنا يخدع نفسه بنفسه!.

إن تركيبة الدولة المعاصرة تحوي تناقضات اجتماعية وإنسانية، وتتسم بسمة قمعية لجنوحها لأن تصبح مشروعا كليا مطلقا (توتاليتاريا)، فالتنظيم الواسع للمجتمع الحداثي لا يبقي الأفراد بمنأى عن سيطرتها، فتكنولوجيتها تتحكم في الكل، وترسم للعصر: «الاستهلاك أفيون الشعوب الجديد»، وبذلك يمكن «الاعتراف بأن الدولة الحديثة انتهت إلى التوتاليتالية على اختلاف أشكالها»[70].وهذا لان التفكير المعاصر يبتلع الوعي النقدي السلبي (Négation critique) ويلغي أي محاولة لوضع مسافة بين الوعي والواقع، قمع الوعي الثوري بالتوحيد والدمج القهري، «القبول بالفكر الايجابي هو قبول قسري: قسري لا بحكم الإرهاب وإنما بفعل سلطة المجتمع التكنولوجي وفعالياته الساحقة المغلقة»[71]،

وهكذا تتضح شدة الهجوم على كل فكر حر كما يعلق ماركيوز «والواقع أن الهجوم على التفكير النقدي المستقل إنما هو جزء لا يتجزأ من السيطرة الشمولية»[72]، وهنا بالضبط تتبين العلاقة بين السلطة والمشروعية التي يضفيها عليها العقل، فلابد من تفحص جدل العقل والسلطة، وهنا إشارة (واضحة إلى إشكالية السياسة والعقل.

لقد أتحف ماركوزه النظرية النقدية بالأعمال التي اتجهت إلى نقد كل أشكال الاستبداد والتسلط وفي مقدمتها التسلط التقني والاستبداد الإيديولوجي، وقد ركز بشكل أساس على تحليل مفهوم القمع ودوره في

---

[70] ماركيوز هربرت، العقل والثورة، ت: فؤاد زكريا، الهيئة المصرية للتأليف، مصر، 1970، ص.357

[71] المرجع نفسه، ص 18.

[72] المرجع نفسه, ص18

البنية الاجتماعية، وأثر الفعل السياسي في توجيهه وانتشاره وقد تم له ذلك كما عرضنا سابقا من خلال تحليل منظومتي : الجدلية المادية لماركس، والكبت الجنسي، وعنصر الليبيدو la libido عند فرويد.[73]

وأراد من ذلك إبراز العلاقة بين فعل القمع من جهة، و فعل الحركة الاجتماعية من جهة أخرى عن طريق البرهنة على [74]:

1 . أن الجدلية المادية قد رافقتها على الدوام جدلية بيولوجية، كان الصراع فيها قائما بين مبدأ الواقع (الارتواء)، ومبدأ اللذة (الممارسة).

2 . الازدواجية بين وعود الحضارة بتقدم الإنسان وإتاحة فرص العيش والسعادة، وبين نموها من خلال تقديم أدوات الإنتاج و تنويعها، و ضياع الإنسانية.

نستنتج مما سبق ان رؤية هاربرت ماركيوزر النقدية تقوم على تحليل المفاهيم الأساسية، ثم العمل على البحث في أصولها المادية، ومن ثم أعادت التأسيس لها من خلال تحديد دقيق للوظائف السياسية، وقد تباينت تلك الرؤية من خلال تمظهراتها في إنتاجه الفكري بحسب الزمان والنضج الفكري الذي مر به فكره ومنهجه النقدي الاجتماعي والجدلي إلى الإرث الفكري لمدرسة فرانكفورت وعلامة فارقة في تطورها من نقد الماضي والحاضر–نقد العقل الاداتي أو الحضارة القمعية– إلى التبشير بالمستقبل من خلال العقلانية الجديدة التي تمظهرت في مفهوم الحضارة غير القمعية والتي سوف تظهر في رؤية جديدة مع فلسفة ما بعد الحداثة ، إلا أن ماركيوز كان خطوة مهمة في هذا السياق ، وعلى صعيد آليات النقد فإنها تقوم على:

1– قيام عقلانية جديدة وحساسية جديدة : تعتمد النقد كأداة ,تدمج المعرفي بالسياسي من اجل العمال والطلبة إنها سياسة ومعرفة تربط الثورة بالحساسية الثورية لهذا يعنون كتابة " نحو حساسية ثورية جديدة"

2– ضرورة تجذير القناعة"بوعي النقد" لدى الأفراد: أي ضرورة وجود وعي بالثورة خارج التلقين الرسمي

---

[73] حسن محمد حسن ، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت ، مرجع سابق ،ص. 213

[74] محمد الجوى ، مفهوم القمع عند ماركيوز وفرويد بيروت :ترجمة فتحي الرقيق ،دار الفرابي ، (،ط1) 1999 ، ص.163

للأنساق الثقافيةالاستهلاكية التي اسست للانسان ذو البعد الواحد.

3- ضرورة وجود لغة جديدة: فان الحساسية الجديدة تفترض وجود لغة جديدة تحرر الإنسان من إشكال الفكر العادي إلى تفكير جديد جدلي يعمل على تغيير كل اشكال الاستلاب الإستطيقا كبديل لمشروع النظرية النقدية:

أما ماركيوز فيضع آماله كلها في الفن الذي يرى انه هو البديل عن التقنية و الذي ينزع إلى أن يشكل الواقع بطريقة مختلفة عن طريقة تشكيل التكنولوجيا له ، و الذي سوف يختفي فيه التعارض بين الخيال و العقل ، و الملكات العليا و الدنيا ، و الفكر الشعري و العلمي . كما أنه ينظر إلى الفن على أنه القادر على تشكيل مبدأ جديد للواقع يختلف عن مبدأ الواقع القمعي في النظرية الفرويدية.

أصبحت مهمة كشف و استباق مجتمع جديد عقلاني و حر عند ماركيوز مهمة الفن . فالحس الجديد الذي سيأتي به الفن أصبح عنده هو الممارسة الواجب القيام بها ، فهذا الحس الجديد ينشأ في الصراع ضد العنف و الاستغلال في سبيل أشكال و طرق جديدة في الحياة . و تتمثل الممارسة التي سيأتي بها الفن في نفي النظام القائم كله بأخلاقه و ثقافته ، و توكيد حق بناء مجتمع ينتهي فيه الفقر و الكد و التحول إلى عالم تصبح فيه قيم الإحساس و اللعب و الهدوء و الجمال أشكالا للوجود ، و بالتالي تصبح شكل المجتمع نفسه.

و في الاخير رغم ان نظريته النقدية لم تسلم من انتقادات لاذعة كتلك التي وجهت له من قبل شابمان او مينوج او غيرهم فإنه سيظل هو الفيلسوف الأكثر قربا لما يعرف بالفلسفة السياسية الإنسانية التي حاولت ترسيخ استقلالية الفرد في مقابل المؤسسة التي تحاول جاهدة سلبه هذه المزية الوحيدة التي يتمتع بها للإحساس بحريته بعد ان تحول الى آلة من آلات الإنتاج.

المبحث الثاني:مفهوم الثورة عند هاربرت ماركيوز

تُعتبر الثورة[75] فكرة أساسية في فلسفة ماركيوز السياسية ، ولهذا نجده قد خصص كثيراً من كتبه لبحث هذه الفكرة وأهمها"الفلسفة والثورة"،" الثورة والثورة المضادة"،" نحو ثورة جديدة". غير ان الكتاب الذى تناول فيه ماركيوز مفهوم الثورة هو أولى كتاباته الهامة، "العقل والثورة" الذي تابع فيه نشأة النظرية الاجتماعية من فلسفة هيجل, وقرأ فيه فلسفة هيجل هذه المرة قراءة ماركسية.

1-1 الثورة أنطولوجياً:

إن الطابع العام لأبحاث هيدجر الفلسفية عن الوجود تكشف عن رؤية عامة تجعل الوجود يراوح بين الحضور والغياب، التجلي والتخفي, التفتح والإنغلاق، ورغم إدراكها أن أصله هو الظلام إلاّ أن الإشراق يعتري الوجود أيضاً.[76] "الدازين هو الفراغ المفتوح الذي تكشف فيه الموجودات عن نفسها بطرق واضحة, بحيث تخرج من إنغلاقها إلى حقيقتها وتنسحب مرة أخرى إلى الغموض" [77] هذا الطابع العام هو ما تكشف عنه دراسة ماركيوز عن الوجود عند هيجل في مدخله لكتابه عن نظرية الوجود عند هيجل بإمتنانه لإبحاث هيدجر الفلسفية لما قدمته من إسهام في عرض مشكلات كتابه وإيضاحها إن ماركيوز يعارض إبتداءً التفسير التقليدي لهيجل الذي يرى أن الحركة هي نشاط التوسط بين الفكر والوجود, رغم أن هذا التفسير يستند على إتجاه عند هيجل نفسه للتخلي عن اكتشافات كتابه "ظاهريات الروح". تلك الاكتشافات التي تمثل الاتجاه الأكثر أصالة بالنسبة لماركيوز, والذي يتبدى أيضاً في كتاب المنطق, وهو إتجاه أنطولوجي يتعلق بالمفهوم الأنطولوجي للحياة وبتاريخيتها ويطرح نشوء الوجود بوصفه حركة حية، هويتها الوجود والمنطق والمعرفة, أي هويتها الوجود والفكر. ولذلك فبالنسبة لهذا الإتجاه الأنطولوجي فإن

---

[75] ، يميز ماركيوز بين العنف المطلق الهدام والعنف الثوري البناء , والثورة عنده تدخل في اطار العنف البناء، ، فهي في حقيقة الأمر عنف منظم أساسها العقل وهدفها التغيير وغايتها التطوير وسلاحها العنف للمزيد ينظر : حسن محمد حسن، النظرية النقدية عند هربرت ماركيوز، الطبعة الأولى، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، 1993،ص.144

[76] كارل ماركس، موضوعات فيورباخ، ملحق في فردريك انجلس: لودفيغ فورباخ ونهاية الفلسفة الكلاسيكية الألمانية، دار التقدم، موسكو، 1971م.ص.64

[77] هربرت ماركيوز، العقل والثورة، هيجل ونشأة النظرية الاجتماعية، ترجمة د. فؤاد زكريا، الطبعة الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1979م.ص.109

الحركة ليست مجرد شيئاً يتوسط بين الفكر والوجود, إنها الفكر والوجود معاً كحركة حية. التفسير التقليدي يفقد الحركة طابعها الأنطولوجي لأنه لا يفهمها إلاّ بإعتبارها شيئاً ما متعلق بالفكر والوجود [78]. بينما المفهوم الأنطولوجي المركزي عند هيجل بالنسبة لماركيوز هو الوجود كقابلية للحركة[79].

هذا التفسير الأنطولوجي للحركة هو الذي سمح لماركيوز بقراءة هيجل قراءة هيدجرية.

لقد أدرك ماركيوز [80]أن جوهر الهيجلية هو التفكير النقدي أو السلبي . وفقاً لماركيوز. وبالنسبة إلى هذا التفكير السلبي فإن الواقع دائماً ناقصاً ولا يعبّر عن حقيقته وبذلك تصير الهيجلية سيرورة دائمة من التحولات والتغييرات التي تطمح للتعبير عن حقيقتها، أي إلى إكمال هذا النقص. وهذا يعني أن الحقيقة لا توجد في الواقع وإنما في مفهومه، أي في الفكر. وبما أن هيجل يرى أن الفكر والوجود هوية واحدة فيصير بذلك مفهوم الواقع هو ماهيته. وأعتقد أن هذا ما تعنيه عبارة هيجل الشهيرة بأن المعقول هو الواقع والواقع هو المعقول. إذ أن المفهوم معقول والماهية حقيقة الواقع. ونستنتج من كل ذلك أن هذه الحقيقة التي يطمح الواقع في تحولاته إلى تحقيقها هي الكل أو هي هوية الأنطولوجيا والعقل. . لقد فتحت قراءة هيجل قراءة هيدجرية الإمكان لقراءة هيجل قراءة ماركسية تكمل خلاص هيجل من مثاليته وفي ذات الوقت تخلص الماركسية من وضعيتها ولتشكّل الأساس الفلسفي للنظرية الاجتماعية عند ماركيوز.

2-1 الثورة أنطولوجيا اجتماعية :

---

[78] هربرت ماركيوز، نظرية الوجود عند هيجل، أساس الفلسفة التاريخية، ترجمة وتقديم وتعليق: إبراهيم فتحي، المكتبة الهيجلية بإشراف د. إمام عبد الفتاح إمام، الطبعة الأولى، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، 1984م.ص.122

[79] Andrew Feenberg, Marcuse: Obstinacy as a Theoretical Virtue, comment on one of Marcuse's last speeches, first published in Capitalism, Nature, Socialism, Sept. 1992, http://www.uta.edu/huma/illuminations.p.201

[80] لقد تشكلت البدايات الفكرية عند ماركوزه منذ أواسط عشرينات القرن العشرين في ألمانيا، حين كتب نصوصاً تعاون في بعضها مع الفيلسوف مارتن هايدغر، وعارض هذا الأخير في بعضها الآخر، قبل أن ينتمي إلى مدرسة فرانكفورت ليعمل على تفعيل النزعة الإصلاحية، جذرياً، داخل الماركسية والفرويدية على السواء

وبناءً على الاستيعاب للهيجلية الذي يركز على جانبها الديالكتيكي ويهمل جانبها المثالي أمكن تحويلها إلى مشروع ثوري فقط باستبدال الأنطولوجيا بالوجود الاجتماعي، وهذا ما فعله ماركس ولكن بتطرف أدى إلى إقصاء العقل وتحول الوجود الإجتماعي إلى طبيعة ثانية أو إذا شئت إلى أنطولوجيا ثانية ولكن بدون عقل فصار الأمر مادياً صرفاً. وما فعله ماركيوز هو أنه أعاد قراءة هيجل ماركسياً ليخلص هيجل من مثاليته وليخلص ماركس من وضعيته وذلك باستبدال الأنطولوجيا بالوجود الاجتماعي كما فعل ماركس ولكن مع الحفاظ على العقل. وهذا هو معنى قراءة هيجل قراءة ماركسية فهي قراءة لا تحافظ على هيجل كما هو ولكنها وفي ذات الوقت لا تحافظ على ماركس أيضاً كما هو. هذه القراءة التي قام بها ماركيوز أفضت إلى أن يصير العقل والوجود الاجتماعي هوية واحدة وهو ما يشكل جذر التفكير النقدي عنده ويكسب نظريته الاجتماعية طابعها الثوري. ولذلك فإن عنوان الكتاب الذي قام فيه بهذه القراءة هو أفضل ما يعبّر عن هذا المعنى "العقل والثورة"[81].

إن الاحاطة بموضوع الثورة يتحددعند ماركوز من تصوره للثورة ووسائلها وأهدافها لأنه" حين نتناول تصور الثورة عند ماركوز نلاحظ أنه تصور مغاير لتصور ماركس، ذلك لأن ماركيوز له طرح جديد للمسألة يحركه سؤالان هامان :ما هي القوة التي يجب أن تقوم بالثورة؟ ثم فيم تتمثل هذه الثورة؟ [82]"وهو تساؤل مشروع بّناء، ما دام ماركوز واقعياً في الطرح، يحاول أن يبين لماذا الثورة؟

وإذا عدنا بدايةً إلى التصور الماركسي، قبل دراسة وتحليل التصور الماركوزي بماركس فإنه" تتحقق الثورة في التصور الماركسي بعد استيلاء الطبقة العاملة على السلطة واضمحلال الاضطهاد المميز للمجتمع الرأسمالي [83]".وهنا نجد اجتماع الأفكار بين ماركوز وماركس، من هذا فقد آمن ماركوز بدايةً بقوة الطبقة العاملة في إحداث الثورة لكنه فقد ذلك الأمل بعد أن لاحظ إدماج هذه الطبقة في النظام،

---

[81] هربرت ماركيوز ، العقل والثورة ، مرجع سابق ،ص.56

[82] محمد الجوة، مفهوم القمع عند ماركوز وفرويد، مرجع سابق، ص:163

[83] محمد الجوة، مفهوم القمع عند ماركوز وفرويد، مرجع سابق، ص :163

والتي يعول عليها الفكر الماركسي كذلك بصورة كبيرة، وهذه نقطة اختلاف بينهما، حيث نجد ماركوز عندما يتحدث، يتحدث عما يجب أن يكون لا عما هو كائن فقط، وها هو يقول عن هذه الثورة العمالية العالمية" :فالثورة البروليتارية تلغي مع تصفية جميع الطبقات البروليتارية كطبقة وتخلق بالتالي عاملاً جديداً للتقدم، ألا وهو جمع البشر الأحرار الذين ينظمون مجتمعهم وفق إمكانيات الوجود الإنساني لأعضائه كافة [84]".

وتهدف هذه الثورة الى التحرر وتغيير الأوضاع السائدة والقضاء على القمع والتسلط وتحقيق مطالب ورغبات الطبقة الفقيرة التي قضت عليها الرأسمالية، وإذاً فإن الثورة لا تتحقق الا بالصراع الطبقي، ولو أن ماركوز لاحظ بأن الرأسمالية عملت على إزالة الصراع الطبقي مما أفقد البروليتاريا صفة الثورية، حيث يقول" :إن كف البروليتاريا عن التصرف كطبقة ثورية وهزيمة الثورة البروليتارية قد توقعتها النظرية الماركسية [85]".لكن امل ماركوز كبير فهو يؤمن بأن جدلية التاريخ وصراع المتناقضات وتغير الظروف سيقود يوماً ما هذه الطبقة إلى جانب فئات أخرى إلى أنتعي دورها ووظيفتها التاريخية في القيام بالثورة لتقوم بعنف اجتماعي سياسي ضد قوى التسلط مما يؤدي إلى انهيار النظام وسيطرتها على الدولة، خاصةً والواقع يؤكد كل يوم سيادة وزيادة الفقر والبؤس والاضطهاد، وإن استقراء التاريخ ووقائعه وأحداثه يؤكد أكثر أن الأعمال الثورية سيصاحبهااستخدام غير نمطي للعنف كما حدث في الثورة الفرنسية سنة 1897م، وهذه هي الأفكار التي يؤكدها ماركوز باعتباره وجه نقداً للمجتمع الغربي ولاحظ وفقاً للتصور الماركسي، أن الثورة ستقع بسبب ماتعيشه الطبقة العاملة من فقر وبؤس اجتماعي، حيث يعود ماركوز لماركس، ليؤكد أنه" إذا ازدادالدمار، والإفقار فإن ماركس يتوقع أن تنظم البروليتاريا نفسها في طبقة ثورية وتتابع رسالتها التاريخية الموضوعية [86]".

---

[84] هربرت ماركوز، الماركسية السوفياتية، مصدر سابق، ص11 :

[85] هربرت ماركوز، الماركسية السوفياتية، مصدر سابق، ص12 :

[86]هربرت ماركوز، الماركسية السوفياتية، مصدر سابق، ص15 :

لكن السؤال الذي يتبادرإلى الذهن هنا هو :ما هي الثورة عند ماركوز؟ ولماذا لا بد أن ترتبط بالعنف؟ وما صلتها بالسلطة والنظام؟ وهل الثورة سياسية فقط؟

1-3 مفهوم الثورة عند ماركوز :

تعني الثورة عند ماركوز" سقوط نظام، أو دستور معين لطبقة معينة واستبداله ببنية اجتماعية ، وسياسية جديدة ، هذا التعريف يستبعد الانقلابات العسكرية وما يشبه من قوى مضادة للثورة،، يقول:" أريد أن أقول ماذا أعني " بالثورة": سقوط حكومة أو مؤسسة مبنيتان من طرف طبقة اجتماعية أو حركة هدفها هو تحويل البنية الاجتماعية والسياسية. هذا التعريف يستثني ثورات القصر، وضد الثورات " الوقائية" (مثل الفاشية والاشتراكية الوطنية)، لأنها لا تغير البنيات الاجتماعية الأساسية" [87]. وهذا هو المفهوم الإيجابي للثورة، لأنها تصبح عندئذ وسيلة تغيير مشروعةً، حتى ولو حملت طابع العنف، ووصفها خصومها بالعنف غير الشرعي، وحتى ولو وقعت ثورة دون عنف حسب ماركوز فلا مشكلة، لأن السلم أفضل من الحرب والتغيير الفكري في المبادئ وإشباع الحاجات، هو هدف الثورة وإذا تحقق ذلك دون عنف فهذا أفضل لأن" ما يهم في نهاية الأمر عند ماركوز هو ضرورة قيام ثورة في القيم والحاجات فالثورة يجب أن تكون فكريةً ومزيلةً للاستلاب بقدر ما تكون غريزية[88].".

وبالفعل، فإن ماركوز يشترط الوعي بالثورة قبل قيامها، حتى لا يحدث العنف الثوري الفوضوي الذي قد يقوض الثورة في بدايتها ، فالثورة من أكبر وسائل التغيير_حسب ماركوز _سواء أكانت بالقوة المادية أم كانت سلمية، لأن هدفها واضح، إذ غالباً ما ترتبط الثورة أكثر بالعنف ونادراً ما تحدث ثورة سلمية، أما الثورة الفكرية فمرحلة ممهدة للثورة الحقيقية، وتظهر علاقة الثورة بالعنف أكثر عندما تجد الثورة مقاومة بالقوة، وهذه الجدلية هي التي تجعل الثورة عنيفةً، فلكل ثورة ثورة مضادة، ولكل عنف عنف مضاد .

---

[87] Herbert Marcuse ,Culture et société, op, cit, p. 296.

[88] محمد الجوة، مفهوم القمع عند ماركوز وفرويد، مرجع سابق، ص ص:-164165

إذاً" فالثورة، وهي استخدام القوة التي يصاحبها العنف، كلما كان ذلك ضرورياً، وذلك لهدم النظام القائم، وتصاحب الثورة تغيرات أساسية وسريعة في مؤسسات الدولة والأبنية الطبقية، وهدفها النهائي يتجه أساساً إلى إعادة توزيع القيم وإحداث تغييرات جوهرية في النظام القائم[89]."

فأكبر ما تهدف إليه الثورة، هو تغيير البنية التحتية، وما يتبعها من تغير في البنية الفوقية والتي منها خاصةً السلطة السياسية، وإذا ما قامت البروليتاريا بدورها التاريخي المأمول سيحدث هذا التغيير حتماً، وتقوم هذه الطبقة بالثورة حسب ماركوز عندما" تُنظّم (...) نفسها في طبقة ثورية واعية لرسالتها ومستعدة لإنجازها، حتى يتوجب استخلاص وسائل ذلك من الموقف السياسي والاقتصادي الآني وعلى كل حال ليس العنف ملازماً لعمل البروليتاريا، كما أن الوعي الطبقي لا يرتبط بالضرورة بالحرب الأهلية، ولا يعبر عن نفسه من خلالها حتماً [90]".إذاً فشروط حدوث ثورة تقودها البروليتاريا حسب ما حددها ماركوز هي وجود وعي ثوري لدى هذه الطبقة وتنظيم محكم، أما الوسائل فتحددها الظروف السياسية والاقتصادية وأهمها هو العنف، رغم أنه ليس شرطاً ضرورياً دائماً وفي كل الأحوال عند ماركوز على خلاف ما يراه الماركسيون، ولأنه عند ماركوز وسيلة وليس غايةً.

إذن" فالثورة حركة تهدف إلى تغيير النظام السائد في مجتمع ما تغيراً جذرياً يتناول مبادئه وأهدافه (...)مما يحقق لهذا المجتمع الحياة الحرة التي ينشدها [91]".

ومنه يجب أن لا يكون ثورة من أجل الثورة، بل لا بد أن تكون الثورة موجهةً ولها أهداف مخطط لها مسبقاً، حتى لا تقع بدورها في العنف الفوضوي والذي رفضه ماركوز

1-5 من يقوم بالثورة إلى جانب البروليتاريا_المحتملة_؟

---

[89] شعبان الطاهر الأسود، علم الاجتماع السياسي، مرجع سابق، ص37

[90] هربرت ماركوز، الماركسية السوفياتية، مصدر سابق، ص ص_ 17.18 :

[91] شعبان الطاهر الأسود، علم الاجتماع السياسي، مرجع سابق، ص37 :

يؤكد ماركيوز أن هناك فئات كثيرةً والتي منها فئة الطلبة التي تُعد بالنسبة إليه بذوراً لثورة قادمة، ولهذا فقد عد ماركوز أحد الزعماء الروحيين لثورة الطلاب في الستينيات في أوروبا، بالرغم من أنه أكد أن الطلبة يشكلون بذرة الثورة، لكنهم غير قادرين عليها في الظروف الراهنة حيث قال عنهم" :إنني أرى أن المعارضة في الطلابية الحالية عاملاً من عوامل التغيير في العالم ولكن ليست كقوة ثورية فورية، بل كخميرة فعالة وسوف تتحول يوماً ما إلى قوة ثورية فعالة [92]".

وبالإضافة إلى البروليتاريا والطلبة، يرى ماركوز أن هناك قوةً ثوريةً أخرى يمكن أن تحمل مشعل العنف الثوري وتؤدي إلى تغيير تاريخي، ألا وهي الحركة التحررية النسوية التي يقول عنها ماركوز" :ويمكن أن تصبح الحركة التحررية النسوية قوةً ثالثةً للثورة المرتقبة [93]".والسبب في إمكانية قيام هذه الفئات بالثورة إلى جانب الفئات الأخرى يكون حسب ماركوز بسبب عزلها عن العملية الإنتاجية، الشيء الذي وّلد الوعي السياسي المتطرف الذي حول بدوره تجربة الاغتراب إلى ثورة ضد الحضارة والثقافة المهيمنة.

1-6 الثورة والثورة المضادة

قد يكون للثورة دور إيجابي اجتماعي وسياسي كبير، من حيث إنها تخلق الوعي الطبقي لدى فئات المجتمع المضطهدة من طرف السلطة مما يجعلها تطالب بالحرية والتحرر والتغيير.

لكن النظام استعمل ويستعمل عدة طرق للحفاظ على كيانه ومصالحه، منها خاصةً ما يسميه ماركوز بالثورة المضادة، وذلك عندما جعل هذه الفئات تدافع عن سلطته بهذه الثورة المضادة وها هو يقول على لسان أحد الرأسماليين" :إنه ينبغي عمل كل شيء من أجل تهيئة البروليتاريا وسائر السكان الكادحين للنضال من أجل السلطة, لا ضدها[94]" و حتى يوضح ماركيوز كيف تتم الهيمنة و الرقابة على

---

[92] *Herbert Marcuse, La fin de l'utopie, op, cit, p. 41.*
[93] *Herbert Marcuse, Actuels, op, cit, p.* 30.
[94] هربرت ماركوز، الماركسية السوفياتية، مصدر سابق، ص42 :

الأفراد حتى لا يخرجوا عن الإطار المرسوم لهم لضمان سير النظام على أكمل وجه ، يجب التمييز بين حاجات حقيقية و حاجات كاذبة ، فالحاجات الكاذبة هي الحاجات التي تفرضها مصالح اجتماعية معينة لتبرير العدوان و الظلم ، و هي تحقق شعوراً بالسعادة لكنه شعور زائف كونه يمنع الفرد من إدراك الشقاء العام ، و بعبارة أخرى " تجعله يرى الرفاه في الشقاء "

لكن بالرغم من ذلك فإن ماركوز أدرك أن الرأسمالية التي تبدو في ظاهرها موحدةً تشوبها في باطنها صراعات عنيفة، أي أنها تحمل في ذاتها التناقض الذي سيقودها إلى الدمار والزوال، وهنا نجده يقول : "اتصور الوحدة الرأسمالية وكأنها مشوبة بنزعات عنيفة بين المصالح تدور في سوق عالمية منكمشة [95]".

إذاً ما يستنتج من التحليل السابق أن الثورة المضادة، هي أول خطر يواجه الثورة وعادةً ما تكون من السلطة والنظام القائم، لأن هذا الأخير يريد الحفاظ على وجوده وعلى مصالح فئة قليلة من أفراده وفقاً لقاعدة" الفعل ورد الفعل "لكن ما هي الثورة المضادة التي كثيراً ما حّذر منها ماركوز؟

يعبر عنها شعبان الطاهرالأسود قائلاً" :الثورة المضادة والتي تتمثل في مجموعة العوامل التي تحقق معارضة للثورة بل تسعى للنيل منها، وباعتبارها عملية تغيير، فإنها تُقابل بعملية مقاومة من هؤلاء الذين قضت الثورة على مراكزهم، وأولئك الذين هددت الثورة مصالحهم المكتسبة (...) كل هؤلاء يتحالفون معهم يكونون الثورة المضادة[96]"

7-1 ولكن لماذا لا تنجح الثورات أحياناً حسب ماركوز؟

إن نجاح الثورة متوقف بالدرجة الأولى على الوعي،لأنه يعتقد أن كل ثورة عبارة عن جهد واع (...) كانت قد حررت قوى" تجاوزت الحد"، فكانت تناضل هذه القوى مجدداً لإلغاء التسلط والاستغلال [97]".

---

[95] المصدر نفسه، ص53 :

[96] شعبان الطاهرالأسود، علم الاجتماع السياسي، مرجع سابق، ص55

[97] هربرت ماركوز، الحب والحضارة، مصدر سابق، ص103

يجيب ماركوز أن الأسباب كثيرة، ومنها على الخصوص دخول بعض العوامل الانهزامية مما يحكم على الثورة بالفشل، وعن هذه الانهزامية يقول" :ففي كل ثورة تلوح فيها لحظة تاريخية كان يمكن فيها للنضال ضد التسلط أن ينتصر، غير أن هذه اللحظة تنقضي .فكان هناك عنصر انهزام ذاتي يلوح متضمناً في هذه الحركية [98]".

ولكن الأمل في نجاح الثورة التي يأملها ماركوز يبقى قائماً في كثير من فئات المجتمع الأخرى التي يقول عنها" علاء صاهر" :"يرى ماركوز أن الأمل في الطبقات الهامشية الرافضة، والتي لم تدخل في لعبة النظام بعد، ولم يكن للنظام مصلحة في احتوائها (...) ومن الواقع السوداوي المغلق حيث يموت كل احتمال للثورة تنبثق إمكانية الثورة نفسها [99]".وتبقى الطبقة العاملة طبقة ثورية، حتى ولو لم تقم بالثورة في الوقت الحالي، فهي كما يصفها ماركوز"طبقة ثورية" بذاتها"وليس" لذاتها"، بمعنى أنه بإمكانها القيام بالثورة لكن الشروط الموضوعية لم تتوافر لها فقط، على الرغم من أن بعض الباحثين يرى أنه حتى ولو تتوافر العوامل الموضوعية لقيام الثورة إلا أن الآلة التي في حوزة النظام قادرة على امتصاص أي محاولة للعنف والثورة، وهذا موافق نسبياً لرأي ماركوز الذي يعبر عنه" الطيب تيزيني "بقوله" :لقد اعتقد ماركوز بأن الآلة التقنية العلمية الضخمة التي في حوزة الإمبريالية قادرة على استيعاب كل احتمال للتمرد على العلاقات الإنتاجية المهيمنة هناك وذلك على نحو تذويبي بحيث تغدو مقولة الثورة وهماً من أوهام إيديولوجيا التحريض الجماهيري [100]".وفي هذه البلدان الصناعية الرأسمالية وما تملكه من تأليل وتقنية تمارس بهما القمع والتسلط، يرى ماركوز صعوبة قيام التغيير عن طريق الثورة بل إنه" لمن الخرق تماماً، أن نبحث عن العوامل النوعية للتغيير الثوري في البلدان الرأسمالية المتقدمة .سوف تثب القوى الثورية

---

[98] المصدر نفسه، الصفحة نفسها

[99] علاء صاهر، مدرسة فرانكفورت من هوركهايمر إلى هابرماس، مرجع سابق، ص76

[100] الطيب تيزيني، على طريق الوضوح المنهجي) بيروت :دار الفارابي، ط 1989 ، 1م ص . 185

خلال مسيرة التغيير، في مجراه نفسه؛ وللمراس السياسي يعود الأمر في تحويل المحتمل إلى واقعي والممارسة السياسية لا تستطيع أكثر مما يستطيع الفكر النقدي أن تتأسس على مفهوم للثورة [101]".

فالثورة حسب ماركوز لا بد أن تكون واعيةً وهادفة لاستبدال سلطة نظام طاغ بسلطة جديدة لهذا كان همه النتائج ومدى تأثيرها في الأشخاص وفي الطبقات الاجتماعية.

إذن فالثورة في الفكر الماركوزي أساس التحول في المجتمعات والتغير الذي يشمل كل مجالات الحياة.

1-8 الشروط الاساسية لقيام ثورة ناجحة:

ينطلق ماركيوز حينما يحدد الشروط لقيام ثورة ناجحة من جملة الانتقادات التي وجهها لماركس يقول عنها" حسن محمد حسن" :"يرى ماركوز أن الثورة الماركسية كي تكون قابلة للتطبيق ينبغي توافر مجموعة من الشروط الأساسية هي:

_1بلوغ مستوى مرتفع من الإنتاجية(...)

_2نمو التنظيم السياسي للطبقات العامة(...)

_3وجود أزمة داخل النظام الرأسمالي(...)

_4أن تكون الثورة مهمة الأغلبية(...)

-5 أن يتم تنظيم الوعي الطبقي وتثقيفه في ظل مناخ من الديمقراطية [102].

وكل ذلك من أجل اقتراح إستيراتيجية جديدة تكون هذه الإستراتجية ثورية ويكون هدفها تغيير السلطة القائمة والسيطرة عليها .وبعد هذا يقول حسن محمد حسن بعد عرضه لشروط الثورة في الفكر الماركسي

---

[101] هربرت ماركوز، نحو ثورة جديدة، مصدر سابق، ص ص:129-130

[102] حسن محمد حسن، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت -(ماركيوز نموذجاً)_ الإسكندرية :دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط 2001 ، 1م ص.203.

السالفة الذكر وربطها بالإستراتجية التي يقترحها ماركوز" :وتقوم الإستيراتيجية الثورية الماركوزية في الثورة على عدة محاور:

_1تحرير الوعي وبزوغ ذات تاريخية جديدة.

_2القطيعة التامة مع الأنظمة القائمة أومبدأ الرفض الكبير.

_3الدور التنويري للإنتلجنسيا [103]".

لماذا هذه الشروط؟ ولماذا هذه الإستراتيجية؟ وهل هي متوافرة في الواقع؟ وهل يمكن تحقيقها؟

أولاً :يؤكد ماركوز أن هذه الشروط غير مكتملة، لهذا ما زال العمل مستمراً على تحقيقها حتى تتحقق الثورة، يعلق فؤاد زكارياء على ذلك حيث يقول" :يكتشف تحليل ماركوز للمجتمع الرأسمالي بوضوح عن اعتقاده باستحالة حدوث تغيير ثوري في هذا المجتمع على يد القوى الراهنة التي تسيطر على هذا المجتمع [104]".لانه بقدر ما ينظم الأفراد أنفسهم للقيام بالثورة ، بقدرما يقوم النظام بتنظيم نفسه أكثر لمقاومتها بثورة مضادة وهذا ما صرح عنه في كتاب"**الثورة والثورة المضادة** "الذي يؤكد فيه حقيقة تقول : إنه قد" أدراك العالم الغربي مرحلة جديدة من التطور لهذا فقد بات النظام الرأسمالي مضطراً، حتى يتمكن من الدفاع عن نفسه، إلى تنظيم الثورة المضادة داخل حدوده وخارجها على حد سواء ".[105]

إن للثورة المضادة حسب ماركوز دوراً وقائياً للحفاظ على مكتسبات النظام، والخوف على الدولة من السقوط والانهيار، حيث يقول" :إن الثورة المضادة وقائية إلى حد كبير بصفة عامة؛ (...)والحال أن الخوف من الثورة هذا هو الذي يوحد مع ذلك بين المصالح ويربط شتى مراحل الثورة المضادةوأشكاله[106]ا"

.

---

[103]حسن محمد حسن، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت _ماركيوز نموذجاً_ مرجع سابق، ص213

[104]فؤاد زكرياء، هربرت ماركيوز ، الإسكندرية :دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط 2004 ، 1م، ص ص35 :-36

[105]هربرت ماركوز، الثورة والثورة المضادة، مصدر سابق، ص :07

[106]هربرت ماركوز، المرجع نفسه ، ص08 :

1-9 الهدف من الثورة

ما ينتج عن الثورة ليس تغييراً سياسياً واجتماعياً فحسب، بل إنه تغيير يتجاوز ذلك إلى تغيير في الحاجات والقيم منها على الخصوص القيم الجمالية والقيم الإنسانية والغريزية، وهذه هي فلسفة الحرب، لهذا يقول فؤاد زكريا في دراسته لفكر ماركوز" إن الإنسان بحاجة إلى ثورة جديدة تتجاوز نطاق الثورة الاجتماعية، ثورة تعيد إليه قيمة السعادة وترد إليه وعيه بالغريزة، وإحساسه بالجمال [107]".كما تُعد في الأصل هذه دوافع لأي ثورة وأهدافاً لها في الوقت نفسه حسب ماركوز، لكن ضعف الأمل في الثورة عند ماركوز لايعود إلى عدم وعي هذه الحاجات فحسب، بل يعود كذلك إلى أن النظام محكم سيطرته على الوضع حيث استطاع أن يلبي بعض الاحتياجات والقيم الزائفة التي جعلت الأفراد يعيشون في وهم هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الثورة المضادة تملك السلطة التي بواسطتها تستطيع أن تقاوم أي حركة عنف أو تمرد .

1-10 الثورة المؤجلة

بالرغم من أن ماركوز أدرك وأكد كثيراً أن الطبقة العاملة لم تعد ثورية، لكن" يوسف سلامة "يبين أن ماركوز بقي يؤمن بدورها، خاصةً في التغيير، إذا توافرت لها عوامل مناسبة موضوعية، لهذاأصبح "تنويرها متوقفاً على العوامل الخارجية[108] ". ولهذا لا ينبغي ان لا ننخدع بإضعاف القوة الثورية من طرف النظام لأن هذا لن يطول، إذاً ما على هذه الطبقة إلا أن تتغير قبل أن تُغير، وإذا كانت هذه الطبقة العاملة تريد أن تصبح العامل الفعلي والحقيقي لذلك الانتقال من مجتمع تسلطي إلى مجتمع حر، فلابد أن تتغير هي نفسها ويكون ذلك حسب ماركوز بالوعي.

---

[107] فؤاد زكرياء، هربرت ماركوز، مرجع سابق، ص43 :

[108]يوسف سلامة، من السلب إلى اليوتوبيا_دراسة في هيجل و ماركوز)_دمشق :دار حوران للطباعة والنشر والتوزيع . سورية، ط 2006 ، 1م ، ص658 :

وفي انتظار نهوض تلك الطبقة من سباتها التي سيطرت عليها القوى البروليتارية سيحمل راية الثورة جيل جديد كقوى جديدة التي ستعوض البروليتاريا المعارض التقليدي للنظام الرأسمالي، لأنه يعتقد أنها لم تعد قادرة بعد على ممارسة التفكير السالب في الشروط المعاصرة، نظرا لما طالها من وسائل التدجين والاحتواء، إلا أنه لا زال متفائلا إلى حد كبير بالقوى الرافضة التي لم تستطع الاديولوجية القائمة احتوائها، لأنها أصبحت جزءا من النظام القائم، وتخلت عن دورها التاريخي .

من هذا المنطلق تصبح القوى النافية الجديدة هي التي لم تندمج بعد في إطار هذا النظام العام، والتي لم تنطوي داخل مؤسساته السياسية، برفضها الاشتراك في قواعد اللعبة البرلمانية المعمول بها في النظام القائم. ويعبر ماركيوز عن خصائصها فيقول:" وهذه المعارضة غير مزودة بأساس طبقي تقليدي، وهي تتراءى كأنها عصيان سياسي، وغريزي، وأخلاقي دفعة واحدة: تلك ملامح "غير مستقيمة" تكيف استراتيجيتها وتمدد ساحة عملها، وهي لا توقر الديمقراطية الليبرالية ولا البرلمانية القائمة، وتحمل على جملة تنظيم المجتمع[109]".

ومن هنا يأتي وعد التحرر الذي يمكن أن تحققه هذه القوى السالفة الذكر، خاصة وأن تنميط المجتمع الاستهلاكي لم يشملها، وإن شملها لم يغير من طبيعتها الرافضة للاستغلال بمختلف تمفصلاته. أما الطبقات التقليدية التي عزت إليها النظرية الماركسية مبادرة التحرر، فإنها في ظل التكييف المستمر لنمط حياتها نزعت نحو الاندماج، ورضيت بالامتيازات التي قدمها لها المجتمع الصناعي المتقدم، في هذا السياق يأتي قول ماركيوز: "وإذا كانت "البروليتاريا أو القوة التقليدية للثورة فقدت ثوريتها لأنها أصبحت جزءا من النظام القائم، وتخلت عن دورها التاريخي منذ أن قبلت الاشتراك في اللعبة البرلمانية، فإن القوى النامية تصبح هي القوى التي لم تندمج بعد في إطار هذا النظام، والتي لم تنطو داخل مؤسساته

[109] هربرت ماركيوز، نحو ثورة جديدة، ترجمة عبد اللطيف شرارة، دار العودة، بيروت، 1971، ص. 105.

السياسية، والتي ترفض الاشتراك في قواعد اللعبة البرلمانية"[110].

هكذا فهذه القوى الجديدة بالنسبة له، ولأنها تعيش خارج المجتمع وعلى هامشه وغير مندمجة بشكل كامل في منظومة الاستغلال، فإنه لم يشملها التنميط الذي ساد أعضاء المجتمع القائم، كما أنها لازالت قادرة على مفاجأة المنظومة القائمة بأساليب ثورية جديدة، وأكثر فعالية، على اعتبار شدة القهر الذي يمارس عليها يوميا وبأشكال مختلفة،لذلك يضع ماركيوز ثقته في قدرة الحركية الطلابية، والزنوج من سكان الأكواخ، وجبهات التحرير وغيرها من القوى التي تتحدد سلبا أمام الرأسمالية.

في هذا السياق، لا يجب أن ننسى أن هذه الحركات التحررية قد تنفتح على مجموعة من الأشكال الثورية العنيفة للتعبير عن حجم الظلم الاجتماعي الذي لحق بها من جراء هذه القوة المتعاظمة. الواقع أن هذه الأشكال التعبيرية العنيفة لا تشكل مشكلة طالما أنها موجهة نحو الطغيان والجور، فيقول ماركيوز على لسان روبير بيير*:" روبير بيير يطالب " بجور الحرية l'iniquité de la liberté " ضد الجور والطغيان، في المكافحة من أجل الحرية، لمصلحة الجماعة ضد المصالح الخاصة للظلم،. العنف الثوري يظهر هنا ليس فقط كوسيلة سياسية بل كواجب أخلاقي."[111]

ويحاول ماركيوز، إيجاد سند إيديولوجي يغذي حركة اليسار الجديد، فهي مع كونها متأثرة بالماركسية بشكل كبير، إلا أنها تستوحي أفكارها أيضا من حركات التحرر في العالم الثالث، "وإلى جانب تأثر حركة اليسار الجديد بالفوضوية، والماوية، والماركسية، يجب ألا نغفل خطورة الدور الذي لعبه أيضا انتصار الثورة الكوبية، ومقاومة الشعب الفيتنامي الواضحة للعدوان الأمريكي، فقد مكنت هذه الأحداث اليسار الجديد من أن يشعر بحدة وعمق الأزمة التي يمر بها المجتمع البرجوازي، برهنت على أن إحداث تغييرات راديكالية في المؤسسة البرجوازية ليس أمرا مستحيلا"[112] .

---

[110] حسن محمد حسن، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت، ماركيوز نموذجا، دار الوفاء لدنيا للطباعة والنشر، مصر، الطبعة الأولى، 2001، ص. 205.

[111] . Herbert Marcuse :Culture et la société, op, cit, p. 229

[112] حسن محمد حسن، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت، ماركيوز نموذجا، مرجع سابق، ص. 212

ونخلص إلى أن مهمة التحرر في المرحلة المعاصرة مرهونة في يد الفئات التي لم يشملها الاحتواء من طرف النظام القائم، وهو ما اصطلح عليه باليسار الجديد. ووصفهم كالتالي:" إنهم بدورهم مضطهدون، هامشيون، لا تلوثهم حياة المجتمعات الصناعية المتقدمة، ولم يلتزموا بعد بقيمها التجارية الانتهازية. فالطلبة، بكل ما يقومون به من حركات متمردة، ليسوا هم القوى الثورية ذاتها، كما أن الشباب الثائر على التقليد، من أمثال الهبيز وغيرهم ليسوا خلفاء البروليتاريا وورثتها في النصف الثاني من القرن العشرين، وإنما يكشفون بسلوكهم عن رفض المجتمع القائم ورفض التمتع بمزايا الوفرة التي يقدمها هذا المجتمع، وكذلك رفض قيمه التجارية وإحلال قيم الحب والجمال محلها[113].

لم يعول ماركيوز فقط على القوة الكامنة في تلك الفئات التي أشرنا لها فقط، بل حاول ربطها بفئات أخرى ومن عالم مختلف، لكنها لا تقل أهمية عنها، أي القوة الرافضة الكامنة في بلدان العالم الثالث, فالقوة الثورية الكامنة في حركات التحررية الوطنية في العالم الثالث لها قواسم مشتركة مع الفئات الأخرى. فهؤلاء يشتركون مع الفئات الأخرى من حيث كونهم جميعا يتقاسمون مكانة واحدة، " فثوار العالم الثالث أيضا مضطهدون، هامشيون، لم تلوثهم حياة المجتمعات الصناعية المتقدمة، ولم يلتزموا بعد بقيمتها التجارية الانتهازية.[114] "

وهكذا، فهذه الحركات التحررية في هذه البلدان تشكل تهديدا خارجا حقيقيا للنظام الرأسمالي، وتشكل الفئات المهمشة داخل هذا النظام قوة في الحد من غلو هذه القوة المتعاظمة، وهنا يأتي الجمع بين هاتين القوتين لمواجهة هذا النظام، بحيث" إن حركات التحرير في العالم الثالث، وحدها التي تكافح اليوم كفاحا ثوريا، في رأي ماركيوز، بل هو يعود فيؤكد أن حركات الشباب والطلبة رغم أنها خميرة الأمل إلا أنها لا تستطيع أن تفعل شيئا دون نجاح حركات التحرير في العالم الثالث. وهكذا ربط ماركيوز حركات الشباب والطلبة بثوار العالم الثالث، فرأى أن نجاح معارضة الطلاب يتوقف على الاستفادة من نجاح حركات

---

[113] فؤاد زكرياء، هربرت ماركيوز، دار الوفاء لدينا الطباعة والنشر، الإسكندرية، الطبعة الأولى، 2005 ، ص. 65.

[114] أحمد قيس هادي، الإنسان المعاصر عند هربرت ماركيوز، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 1980ص .164.

التحرير في العالم الثالث ومن انتصاراتها الثورية. وهنا ألقى مسؤولية النضال ضد الرأسمالية على ثوار المعسكر الثالث، بالدرجة الأولى، ثم يأتي دور قواه الثورية الأخرى التي تعيش داخل المعسكر الرأسمالي نفسه[115]".

هكذا، يضعنا ماركيوز أمام الإمكانات المتعددة للتحرر، والتي من المحتمل أن يقودها أناس يعيشون على هامش هذا المجتمع ولا يتقاسمون مع مستبديه خيراته.

وهكذا امكننا ان نعود لما يقوله الأستاذ فؤاد زكريا في مقدمته لكتاب(العقل والثورة) لهاربرت ماركوز إن ماركوز بافكاره الثورية النقدية يحاول أن يحدثنا عن قانون تحولنا من الكمية الى الكيفية لدى هيغل وأن يقول لنا أن هذا القانون إنما يرفض فكرة التحول التدريجي ,و يؤكد على التحول المفاجئ والجذري والمباغت فماذا يعنيه هيربرت ماركوز بالتحول الجذري والمفاجئ .

يؤكد هيربرت ماركوز في جميع كتبه أنه قد أستخدم قانون التحول الكمي الى النوعي لذات المعنى وهو:

1 – إعادة قراءة الجانب الجدلي في فلسفة هيغل و إعادة تعريف الفلسفة كرفض للوضع الراهن

2 – تأكيده على حتمية رفض الوضع الراهن، ويقصد أن المجتمع الليبرالي الديمقراطي الغربي المؤمن بإصلاح المجتمع على الأسس الديمقراطية والعقلانية ليس بإمكانه معالجة مشكلات المجتمع, ما يحتم تغيير النهج الديمقراطي الى تحول جذري مفاجئ ,أي بمعنى آخر هو سقوط النظام الليبرالي الديمقراطي وبناء دولة مركزية قوية على غرار دكتاتورية الطبقة العاملة وذلك من منطلق قول ماركس(إذا كانت مهمة الفلاسفة حتى الآن هي تفسير العالم فإن عليهم أن يفكروا بعد الآن في تغيير العالم) وكان يقصد بذلك تغيير العالم الليبرالي الديمقراطي عالم دكتاتورية البروليتارية.

[115] قيس هادي أحمد، الإنسان المعاصر عند هربرت ماركيوز، مرجع سابق، ص. 164.

وبهذا نستطيع القول:ان الثورة اساس الفكر الماركوزي اساسها الجدل ونتيجتها التغيير وهدفها النظام, فلا ثورة دون عنف مشروعالموجه البناء , لا العنف الرجعي الهدام.وبهذا اراد ماركيوز ان يؤسس لدولة يقوم فيها النظامغير تسلطي غير قمعي يستطيع الافراد ان ان يعبروا في ظله عن وجودهم الحر ويحققون رغباتهم وحاجاتهم ، وهو ما لم يتحقق في ظل الانظمة السائدة والتي هي– حسب ماركيز– أنظمة دكتاتورية في ممارستها للسلطة بل ان سلطتها مزيفة لا حقيقية لان السلطة الحقيقية هي التي يختارها الشعب وتعبر عن ارادته في الحكم وهو مالا يتحقق الا في الانظمة الديمقراطية التي يفضلها ماركيوز رغم ما لحق بها من تزييف ،والمهم عنده هو انه لابد للثورة اذا ما تحققت ان تقوم بتغيير نظام طاغ بنظام جديد يخرج عن اطار ممارسة القمع ضد الشعب .

الفصل الثالث

الفصل الثالث : تجليات مفهوم الثورة عند هربرت ماركيوز في الفكر الفلسفي المعاصر

المبحث الاول:ماركيوز واقع ومالات

عاد الحديث عن هربرت ماركوز وافكاره الثورية بعد التسعينيات من القرن العشرين ببروز تيار ما اطلق عليه اليسار الجديد مناهض للعولمة. وبالفعل كان ماركوز قد تنبأ منتصف الستينيات بحصول تغييرات في المنظومة الليبيرالية، تؤدي إلى بروز ديكتاتورية السوق، وتحكم قانون الأقوى، وتراجع نفوذ الحكومات والبرلمانات أمام قوانين السوق . أمام هذا المعطى التاريخي نتسائل في بداية هذا الفصل الاخير من دراستنا عن ماذا تبقى من فكر هربرت ماركوز اليوم؟

يعتقد الكثير من الباحثين انه لولا أحداث 8 ماي 1968 لظل هربرت ماركيوز نكرة غير معروف .. فهذه الأحداث جعلت منه نجما في عالم الفلسفة والسياسة ، ولدى طلاب الجامعات الغربية والأمريكية خاصة ، الذين اتخذوا منه فيلسوفا ومتحدثا ايديولوجيا باسم يسارهم الجديد، وهو الامر الذي يؤكده هنري آرفون في كتابه اليسارية الصادر عن دار المطبوعات الجامعية الفرنسية بقوله: ..."اننا نفهم منذ ذلك الوقت بأن اللقاء بـ هربرت ماركيوز يعتبر بالنسبة الى اليسار مفاجأة مقدسة.. وهو الذي كان بالأمس القريب ذلك المجهول الذي استطاع أن يشتهر عالميا بعد أحداث 8 ماي 1968 مباشرة ، لأنه عرف كيف يجمع في ادانة مشتركة بين المجتمعات الصناعية المتقدمة من ناحية، وبين الماركسية السوفياتية من ناحية أخرى "[116].

والسؤال يطرح نفسه ما علاقة فيلسوفنا بهذه الاحداث؟

الاجابة عن هذا السؤال يمكن ان نلمسها من خلال تفاؤل هربرت ماركيوز حول التغلب على أثر السلعة التغريبي , الاثر الكبير أيضا على الثقافة المضادة في ستينات القرن الماضي,عندما حلّق جيل طلاب الستينات في كل أوروبا. كان هربرت ماركيوز، على الأقل في ألمانيا صاحب التأثير الأكبر

[116] هربرت ماركيوز ،نحو ثورة جديدة ، مرجع سابق ،ص. 114

عليهم. هذا بسبب أنه حينما كان **أدورنو** Theodor W. Adorno [117]، بمقولاته الفلسفية العالية التشاؤمية عن التطور التاريخي، يستطيع الكلام عن التقدم السلبي للإنسانية ,كان ماركيوز يستمر في المحافظة على وجهة نظر أكثر تفاؤلاً بصدد ما يمكن إنجازه[118].

من السهل أن نرى كيف أن هذه الفلسفة المتفائلة استطاعت أن تساهم في إطلاق حركات اجتماعية جديدة لم يعد لها أي إيمان بقدرة أحزاب اليسار التقليدية والمحافظة على إحداث تغيير سياسي هام لا في الشرق ولا في الغرب. وهذا ماكان يتنبا به ماركيوز حينما اعلن ان"الإيجابي الحقيقي سيوجد في مجتمع المستقبل بينما الإيجابي الموجود الآن هو الذي يجب أن نتجاوزه.".[119]...

يعتبر هربرت ماركوز ثورة الشباب التي حدث في فرنسا قد تجاوزت بأطروحتها ما قدمه في كتابيه "ايروس الحب والحضارة" 1955 و"الإنسان ذو البعد الواحد 1964، ففي الكتابين ندد "ماركوز" بالقهر الذي يقع على الفرد في المجتمع الصناعي المتقدم الأمريكي واضعا كبتا جنسيا وأن الحضارة الصحية ممكنة بنفي هذا القهر عن الإنسان [120]. وفي مقدمة الطبعة الفرنسية في فبراير 1967 يكاد "ماركوز" يرسم السيناريو لما سوف يحدث من الحركة الشبابية والعمالية في ماي 68 من رفض لاستمرار قهر غريزة الحب الإنسانية. وأن الانتصار لهذا المطلب الإنساني الطبيعي سوف يتحقق حتى في ظل المزيد من الضغوط التي يفرضها المجتمع المتقدم بتقنيته التي جعلت من الإنسان مستلبا من إنسانيته .

---

[117] **تيودور لودفيغ فيزنغروند أدورنو** Theodor Ludwig Wiesengrund Adornoفيلسوف ألماني 11 سبتمبر 1903، فرانكفورت، بروسيا، الإمبراطورية الألمانية 6 – أغسطس 1969، فيسب، سويسرا، رائد من رواد مدرسة فرانكفورت الشهيرة – معهد العلوم الاجتماعية – وقد اشتهر بدراسته للفن و علم الموسيقى والمجتمع الرأسمالي أصحاب النظرية النقدية، و أعماله تشترك مع أعمال مفكرين آخرين مثل الذين يعتبرون أعمال فرويد و ماركس و هيجل أساسية لنقد المجتمع الحديث ، و يعتبر أدورنو من أبرز مفكري القرن العشرين في الفلسفة و علم الجمال ، بالإضافة إلى كونه من أبرز كتاب المقالات. ناقد لكل من الفاشية و ما يطلق عليه اسم culture industry و كتبه المختلفة أثرت تأثيراً قوياً على اليسار الأروبي الجديد. هاجر إلى إنكلترا في سنة 1934 ثم إلى الولايات المتحدة الأمريكية في سنة 1938 بعد صعود الحزب النازي إلى سدة الحكم في ألمانيا، وعاد إلى فرانكفورت في سنة 1949 ودرّس في جامعتها للمزيد ينظر : ويكبيديا الموسوعة الحرة في : http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AA%D9%8A%D9%88%D8%AF%D9%88%D8%B1

[118] بيتر تامبسون، مدرسة فرانكفورت، القسم الرابع: هربرت ماركيوز..ترجمة هشام عمر النور

[119]

[120] المرجع نفسه ،ص.

الامر الذي دفع هربرت ماركيوز للاعراب عن سعادته عندما حدثت ثورة الشباب في عام 1968،..[121], لأنه يمكن أن يقول أن كل ما توقعه يتحقق امامه املا ان تحظى افكاره بالمزيد من التجسيد.

ويكفي هنا ان نقدم خلفية تاريخية موجزة ضرورية لهذه الحركة.

ان ما ميز حركة 1968 [122] في فرنسا هو القيام بإضراب عام شل كل المصانع والجامعات والمؤسسات ، أثمر هذا الاخير في عديد من التحولات الاجتماعية مازالت نتائجها تتحقق في مجتمع اليوم, سيما وان هذه الحركة عرفت نجاحا في فترة ما سمي بفرنسا "بالثلاثين سنة الفاخرات" , رغم ان الاقتصاد الفرنسي كان في نمو والعمالة شبه كاملة والبطالة محدودة ولكن السلطة السياسية اتسمت بالقمع تجاه مجتمعها.والجدير بالذكر أن حركة 68 مرتبطة بما قبلها إذ لم تنتج من فراغ ,فغداة الحرب العالمية الثانية مر المجتمع الفرنسي بمرحلة عصيبة نتيجة تعاون الكثير مع النظام "الفاشي" الخاضع للاحتلال النازي بعد استسلام نحو 2 مليون جندي فرنسي في ساعات محدودة أمام الاكتساح النازي. وبعد التحرير قامت عمليات تصفية أحيانا جماعية وبشكل غير قانوني لمن اعتبروا كمتعاونين مع الاحتلال وراح ضحيتها نحو 11 ألف مواطن بالحق أو الباطل نتيجة مصالح شخصية أو لمجرد الشك واستمرت لعام 1953. وجاء كتاب "رسالة إلى لجنة المقاومة" كصرخة للمفكر الكبير "جان بولان" ليطالب بالكف عن ممارسة التصفيات غير الإنسانية. ثم هزمت فرنسا عام 1954 في معركة "ديان بيان فو" في حرب الهند الصينية التي بدأت عام 1946. وضد هذه الحرب وضد حرب الجزائر التي بدات في 1954 ,وتواصل دور المثقفين ضد حرب فيتنام عام 1968 وكان نوعا من الالتحام مع الاحتجاجات الشبابية في العالم التي كانت قد بدأت على الصعيد العالمي, فالانتفاضات الشبابية تفجرت في اسبانيا ,بريطانيا ,ايطاليا ,البرتغال ,,ألمانيا ,الولايات المتحدة ,واليابان وكلها حركات لمناهضة الحرب الأمريكية في فيتنام

---

[121] المرجع نفسه ،ص.8

[122] ارنست ماندل ،الحركة الطلابية الثورية ، في موقع مجلة الحوار المتمدن : ينظر في :
http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=61868

بجانب المطالب الإصلاحية في الجامعات وإنهاء استمرار المجتمع السلطوي. وانفجرت حركات أخرى في المكسيك ,باكستان ,السنغال ,الجزائر ,تشيكوسلوفاكيا واليونان. وفي مصر انطلقت الحركة في أفريل وماي 68 للمطالبة بالديموقراطية وحرب التحرير الشعبية لتحرير فلسطين, كان ذلك هو الجو العام في المجتمع قبل بدء تشكيل "دانيل كون– بندين"حركة 22 مارس" 1968 واحتلالها لجامعة "نانتير" في الضواحي الباريسية، للاحتجاج على استمرار اعتقال مجموعة من المناضلين من "لجنة مناصرة فيتنام".وكان ذلك في مطلع شهر ماي, ولكن العميدأغلق الجامعة يوم 2 ماي فذهب الطلاب في اليوم التالي لمواصلة احتجاجهم في جامعة "السوربون" في باريس. ثم تطورت الحركة الطلابية بهدف واحد وهو الإفراج عن المعتقلين من الطلاب الذين احتلوا جامعة "السوربون" يوم 3 ماي[123]. وأخرجت قوات الأمن المركزي الطلبة وقدم قادتهم لمجلس التأديب بالجامعة وحكم بالطرد على "كون–بندين". ويظل الأسبوع الأول من الأحداث حرجا فلم يكن للحركة أي برنامج ولا مطالب إلا الإفراج عن رفاقهم إلا أنه بدأت تظهر فكرة ضرورة الاتصال بالعمال للحاق بهم. وخرج ألاف الطلاب يوميا في مظاهرات حتى يوم 10 ماي فواجههم البوليس بقمع وحشي , ووصفت معظم الصحف الحركة بالفوضوية واليسارية المتطرفة , ووصفت أخرى المواجهة العنيفة بين الطرفين بأنها "مذبحة". وأمام هذا العنف تعاطف الشعب ومعظم المثقفين التقدميين مع الحركة وتحركت النقابات العمالية لتخرج مع الطلاب في مظاهرة جمعت مليون مواطن يوم 13 ماي وذلك برغم أنه تم الإفراج عن الطلبة. وفي اليوم التالي أعلنت الطبقة العاملة الإضراب العام في كل فرنسا, حيث توقف نحو عشر ملايين عامل عن العمل أكثر من شهر وشلت الحياة الاقتصادية كلية وهو اكبر إضراب عمالي فرنسي في القرن العشرين. ولم يتم التوصل إلى إنهاء للإضراب إلا بالتفاوض بين

[123] محمد عوض علي ، الشباب الجامعي والحركات الطلابية ، ، مجلة العلوم الاجتماعية، المجلد 2 .العدد 2017 ،ص.ص.77– 80

الدولة والنقابات, وكان لوحدة التيارات السياسية نتيجة هامة برغم اختلاف الإيديولوجيات إذ حققت الطبقة العاملة انتصارا كبيرا[124].

والملاحظ ان الموقف من حركة 68 كان معقدا لتشعب مطالبها بين سياسية وطلابية وعمالية واجتماعية وثقافية ومضادة لمؤسسات الدولة ,اذ عكست "أزمة تاريخية كشفت عن حكم متسلط لنظام متحوصل في عادات عقلية وسياسات وإيديولوجيات."فهل يمكن الحديث عن حركة طلابية اليوم؟

إن الاهتمام بالحركة الطلابية باعتبارها حركة شبابية لا يرجع فقط إلى كون طلبة الجامعات يكونون نصف المجتمع وإنما يعود إلى أننا نعتبر أن الحركة الطلابية والجامعات هي الفضاء العام الذي يحتضن التعدد والانفتاح وحملة التغيير، فالجامعات هي أكثر المؤسسات التي ما زالت تتصدر النسبة الأكبر في ثقة المجتمع لدورها الريادي في بناء الدولة ، وإن الحركة الطلابية عبارة عن طاقات شبابية تطمح للتغير وايجاد دور لها في عملية البناء الاجتماعي والنضال السياسي، والتي ترجمة التجربة السياسية عن عدم قدرتها عن الاستغناء عنها، وحاجة المجتمع لها.

وتعد الحركة في مفهومها النضالي شحنة من العلامات المؤشرة للتغيير والعطاء والنضال، وكثيراً ما استطاعت ببعدها النقدي والثوري ان تساهم في بناء المجتمع واعادة هيكلته , فإذا كانت التجربة التاريخية للحركات الشبابية والطلابية في العالم ملتحمة بظروف اجتماعية معينة بلورتها تستند إلى قضايا انسانية: في الحرية وإعادة الاعتبار للعقل والعدالة الاجتماعية ورفض استلاب وعي الفرد من خلال استخدام تكنولوجيات الاعلام واجهزة الدولة الايدلوجية، الذي عمل على تزييف وتزويف الواقع المعاش، فان الأعوام القليلة الماضية، شهدت عودة للحركات الطلابية إلى المشهد السياسي والنقابي، وبيان حالة من النضوج في النضال الاجتماعي للحركة الطلابية، والتي استطاعت أن تكتشف ذاتها ودورها في مرحلة

[124] المرجع نفسه ،ص. 80

الكمون والتهميش السياسي بعد اتفاقية أوسلو 1993اً. وعليه كان من المهم فهم دور هذه الشريحة وقراءة خارطة وجودها في المجتمع بعد ان فشلت الاحزاب والنقابات والتشكيلات الاخرى ان تلعب دورا اساسيا في تغيير الواقع [125].

الاتحادات الطلابية والعمل السياسي :

اضحت الحركة الطلابية إحدى الظواهر البارزة في عصرنا الحالي فالطلاب مجتمعين متكتلين أصبح لهم وزن و دور كبير حيال التوجهات السياسية و القرارات التي تتخذها الدولة ناهيك عن توجهات الجامعة التي ينتمون إليها في مجال العملية التعليمية بمضامينها المختلفة و من هذا المنطلق ألحقت بالحركة الطلابية سمتان اثنتان هما [126]:

أ / دعواها بأنها حركة سياسية مستقلة و هذا ما يبدو واضحا في لغتها و أفكارها و علاقتها الوثيقة بمختلف تشكيلات المجتمع المدني والسياسي و اهتمامها ببناء وديناميات الجامعة ذاتها .

ب /وصفها بالحركة المتميزة طليعة المجتمع يحيل إلى وجود وعي طلابي متنامي مواز للتغيرات التي تشهدها المجتمعات و ديناميات الحياة في مختلف المجالات ، هذا الوعي الطلابي الملازم لظروف اجتماعية معينة يشبه إلى حد كبير الوعي الطبقي الملازم للظروف التي كان يعيشها العمال الصناعيون في أعقاب الثورة الصناعية في أوروبا ، وهذه الفكرة عبر عنها ألان توران " TOURAINE " حينما اعتبر أن هناك " تماثلا واضحا بين الطلاب و العمال ، ففي الجامعات الفرنسية الكبيرة الحجم – و في جامعة كجامعة نانتيرNANTERRE – – حيث تواجه عزلة اجتماعية أصبح الطلاب يشكلون جماعة متميزة تشبه في بعض الوجوه العمال الصناعيين في المصانع الرأسمالية المبكرة ، فضلا عن أن ثمة تشابها بين المعتقدات التي يؤمن بها الطلبة الآن و التصورات اليوتوبية التي آمن بها الاشتراكيون الأوائل .

---

[125] محمد عوض علي ، الشباب الجامعي والحركات الطلابية، مرجع سابق ،ص.81

[126] المرجع نفسه ،ص ص. 85-89

ج/ النزعة الثورية إذا هي القاسم المشترك بين حركة البروليتاريا الاشتراكية و بين حركة الطلاب اليوم الذين يبنون و يطورون ثقافة خاصة بهم تتسم برفض الأوضاع القائمة و الموروثة و التطلع نحو الجديد ، غير أن الفرق بين الحركتين (حركة البروليتاريا و حركة الطلاب) هي أن الأولى تعتبر نفسها طبقة مستغلة من قبل الرأسماليين لذلك تطالب بالثورة على الأوضاع القائمة أما الثانية فهي " تعبير عن حركة نقذية فكرية أخلاقية للمجتمع و العملية النقذية و الفكرية التي تشكل روح الحركة الطلابية تستند إلى ثقافة خاصة تدعى ثقافة الشباب التي تصنف كثقافة فرعية تختلف عن الثقافات الأخرى كثقافة الآباء مثلا، فمفهوم ثقافة الشباب تستخدمه الحركة الطلابية " كنقطة انطلاق مناسبة لتحليل القيم التي تكمن في خلق الحركات الاجتماعية للشباب و الأهداف التي تسعى إليها ، فالشباب يطورون لهم ثقافة خاصة بهم تشير إلى تلك الأساليب السلوكية و القيم و المثاليات و طرائق الحياة و التفكير التي تتجسد في أنظمة و علاقات اجتماعية ، و أنساق للاعتقاد تتبلور حول حاجات الشباب و وضعهم في المجتمع و إحساسهم بمشكلاته وإسهامهم في تغييره .

إن النظر إلى ثقافة الشباب محركا للحركة الطلابية يحيل إلى مصدر هام لتفسير سلوكات وتصرفات حشود الطلبة و الدوافع القابعة وراءها ،غير أن ثقافة الشباب هذه لا يمكن التسليم بها كدافع مطلق لنتائج و أهداف معينة لأن الشباب يختلفون في سلوكاتهم واندفاعاتهم ، وثقافتهم العامة تضم خصائص مختلفة من جماعة شبانية إلى أخرى و من جماعة طلابية إلى جماعة طلابية أخرى تبعا لاختلاف البيئات و الأحوال الاجتماعية و السياسية و الدينية و غيرها .

وفي سياق الحديث عن فعالية هذه الحركات الطلابية نذكر ما اختبرته أندونيسيا عام 1998 عند قامت مجموعات من الحركة الطلابية الاصلاحية بالتمرد على الحكم المركزي أبان حكم سوهارتو واسقاطه بعد 32 سنة من التفرد بالحكم، ودخول ممثلين لهم في البرلمان، وفيما بعد، معارضتهم لسياسة الرئيس عبد الرحمن وحيد في 2001 وتشكيكهم في قدرته على قيادة البلد ,وفي سياق آخر ما حصل في

الانتفاضة الشعبية عام 1999 في ايران والتي ساهم بها كلاً من الحركة الطلابية والشبابية، وفيما يتعلق بواقع وتاريخ السياق الفلسطيني السياسي وما اختبره من انتفاضات شعبية على مدار قرن من الصراع الفلسطيني الصهيوني، كان أبرزها وأميزها في الانتفاضة الشعبية الأولى 1987، حين أدار المعركة السياسية والاجتماعية الشباب في الأحزاب الفلسطينية ، فلعبوا دوراً ريادياً في النضال، واخيرا في سياقنا العربي؛ ما شوهد من خلال انتفاضات ضد أنظمة شمولية وديكتاتورية في "الربيع العربي" والذي شهد به ميدان التحرير في مصر من حضور قوي للطلاب وجموع الشباب، تلك الأمثلة ما هي إلا دليل ومؤشر مهم على أن الشباب والحركة الطلابية قوة وطاقة كامنة ومؤثرة في سياق المجتمع، باعتبارهم يمثلون الحجم الأكبر من جسم أي أمة, وكون الحركات الطلابية جزء مهم من الحركات الشبابية فقد ترتبط بمشروع سياسي حزبي منظم أو غير منظم، وبما أنهم –أي الشباب– العمود الأفقي طولياً لأي حراك سياسي أو اجتماعي، فكانوا محط اهتمام الأنظمة والأحزاب السياسية؛ من بعد المراقبة والتحكم أو الإستخدام والاستثمار، خصوصاً أذا ما كانت الحركات الشبابية امتداداً لتلك الأحزاب[127].

يقول عبد الله النفيسي نستطيع القول ان الطلاب هم الكتلة الاجتماعية المرشحة لتحقيق التغيير ، للاسباب التالية[128] :

ثبت تاريخيا ان الطلاب لعبوا بالفعل دورا مهما خلال القرنين الاخيرين في اطلاق حركات تغييرية عديدة في جميع انحاء العالم .فقد شكل الطلاب عنصرا اساسيا في ثورات 1848 في المانيا والنمسا .فقد ذهبت مظاهراتهم بحكم بيرون في الارجنتين 1955 ، واسقطت جمينيز في فنزويلا 1958 وذات الامر في فيتنام 1963 ، ونسفت حكومة راي في كوريا الجنوبية 1960 ، واجبرت ايزنهاور على ان يلغي زيارته لليابان في العام نفسه ، وقوضت حكومة ابراهيم عبود العسكرية في السودان عام 1964 ،

[127] عبد الله فهد النفيسي ، دور الطلبة في العمل السياسي ، الكويت : الهيئة التنفيذية للاتحاد الوطني لطلبة الكويت ، فبراير 1986 ، ص.ص..33-38

[128] المرجع نفسه ،ص.22

وزعزعت حكومة سوكارنو في اندونسيا عام 1966 وهددت قادة الحكم وانظمة الحكم عام 1968 وفي احداث ماي في كل من الولايات المتحدة الامريكية وفرنسا والمانيا وايطاليا واسبانيا والبرازيل والاورغاوي والسنغال والمكسيك وتركيا ، واستطاعت في العام نفسه ان تفرض على نظام الحكم في مصر تغييرا اداريا ووزاريا وان تحمل الحكومة في لبنان على انشاء الجامعة اللبنانية .

قطاع الطلبة في كل المجتمعات يتزايد ويتضاعف يوما اثر آخر ، كذلك تزداد المدة التي يمضونها كطلاب .بالاضافة الى ذلك حيوية الطلاب كشبان وتعاملهم الجاد مع الافكار والمفاهيم والرؤى السياسية وتحررهم من اعباء الوظيفة والمعيشة وسهولة تنظيمهم والاتصال فيما بينهم .

ان الطلاب هم اكثر الفئات مقدرة على التحرر الاجتماعي من الخلفيات العائلية والطبقية و الاقليمية والشواهد على ذلك كثيرة .ونقصد بالتحرر الاجتماعي الادراك بان واقع المجتمع العربي الحالي هو واقع هزيل وغير عادل وضد الانسان . وهنا نقف لحظة عند **أبرز الاتحادات الطلابية التي أنشئت على المستوى الأممي**[129]**:ونذكر منها:**

.1الاتحاد العالمي للطلبة الديمقراطي، وضم الاتحادات في الدول الاشتراكية بشكل رئيسي إلى جانب الدول التي كانت قريبة من التوجهات الاشتراكية.

.2الاتحاد الدولي للطلية الشباب الاشتراكي، وهو اتحاد يضم الشباب المنضوي في أحزاب الاشتراكية الدولية في أوروبا الغربية.

.3الجمعية العالمية للشباب، وكان الهدف من إنشائها الوقوف في وجه الاتحاد العالمي للطلبة الديمقراطي كحركة مناوئة.

---

[129] عبد الله فهد النفيسي ، مرجع سابق ، ص ص 33-40

ويتضح من الاتحادات الدولية الثلاث، أن أهدافها السياسية لم تكن خافية، حيث كانت تتجاذبها ثلاث تيارات سياسية تعكس منظومتين سياسيتين أو قطبين رئيسيين آنذاك – المنظمة الاشتراكية – ومنظومة البلدان الرأسمالية.

لذا فان المنظمات التي تعنى بالطلبة والشباب والتي ما تزال قائمة، تمحورت حول ثلاث نماذج هي[130]:

.1منظمات الطلبة والشباب في بلدان الحزب الواحد أو التي توصف بالأنظمة الشمولية، وهذه المنظمات عبارة عن نسخة كربونية عن الحزب الأم (الحزب الحاكم) وجزء من التشكيل الرسمي، وبالتالي، فهي في سياساتها الشبابية والعامة جزء من منظومات النظام المؤسساتي ومستوعبة من خلال الحزب المهيمن على مقدرات البلد ككل. هذه المنظمات تفككت غالبيتها بسبب الانهيار الذي حصل في تلك البلدان، وفي الوطن العربي وجدت بعض النماذج المشابهة (في وقت سابق خصوصاً في سوريا والعراق وليبيا "شبيبة البعث، شبيبة الفاتح".

.2منظمات أهلية للشباب تعاونها وتشرف عليها الحكومات وهذه المنظمات لديها هامش أوسع في التعبير عن سياساتها الشبابية والعامة ضمن واقع التعددية في هذه البلدان، ولكنها ليست مستقلة تماماً في سياساتها، خصوصاً وأن التمويل الحكومي لها يلعب دوراً في توجيه برامجها وتحديد أولوياتها، وهذه المنظمات تتواجد في البلدان الرأسمالية والديمقراطية الناشئة في العالم.

---

[130] قريطي عبدا لمطلب أمين، عبد العزيز السيد، الشخص، . 1991 دراسة ظاهرة الاغتراب لدى عينة من طلاب الجامعة السعوديين وعلاقتها ببعض المتغيرات ، -85الأخرى .مجلة رسالة الخليج" ، ع5 ، م 18 ، ص53

.3منظمات أهلية غير حكومية لا تخضع لإشراف حزبي أو حكومي، وهذا النموذج هو الأكثر استقلالية في سياساته الشبابية وسياساته العامة، ولكن هذه المنظمات على أهميتها ما زالت قليلة التأثير، وإن كان المنحى العام يتجه نحو هذه المنظمات بسبب النزوع المتزايد نحو مؤسسات المجتمع المدني على حساب المؤسسات الحكومية أو الحزبية المغلقة.

- **اليسار الجديد ومفهوم الثورة**

ان اليسار الجديد [131] نظرية تدشن حقبة جديدة من عمر الرأسمالية، أي من التطور المجتمعي في نطاق الرأسمالية، بالانتقال من مرحلة "المجتمع الصناعي إلي المرحلة الأرقي "مجتمع الاتصال" ، وهذا في سياق التطور العالمي باتجاه "وحدة المشهد الحضاري العالمي"،

وتتمثل مقاربات التحليل الشرحي لوحدة المشهد الحضاري العالمي الناشئ، الذي تكون قد أوصلت إليه ديناميكيات التطور الرأسمالي النيو – ليبرالي العالمي، في مقاربة ماركوزية مجددة [132] .

فتعتمد لتكون مدخلا لفهم ما سيكون من فقدان الفرد لبعد المنازعة في تعامله مع مجتمعه، والمجتمعات الوطنية في تعاملها مع المجتمع الأكبر، المجتمع العالمي، وما سيكون من إنسان ذي بعد واحد [133]، ومن ذوبان للخصوصيات الثقافية للمجتمعات الوطنية، ومجتمعات الحضارات الشرقية، في ثقافة المجتمع المفروضة علي العالم ثقافته، ألا وهو المجتمع الغربي الرأسمالي الليبرالي..

ومن شأن هذه المقاربة المساعدة علي تحديد أسباب ودواعي التراجع في دور الهويات الوطنية

---

[131] اليسار الجديد حركة سياسية واجتماعية ، ظهرت في الستينيات وأوائل السبعينيات من القرن العشرين في الولايات المتحدة. وقد ضم اليسار الجديد العديد من طلبة الكليات وغيرهم من الشباب وسُميت الحركة بهذا الاسم للتفرقة بينها وبين اليسار القديم الذي ظهر في الثلاثينيات من القرن العشرين. وكانت تقود اليسار القديم بصورة عامة الأفكار الماركسية. للمزيد ينظر : اليسار الجديد في .http://ency.kacemb.com/%D8%A7%D9%84%D9%8A%D8%

[132] نسبة الى هربرت ماركوز.

[133] Le Matin, (Herbert Marcuse, l'homme unidimensionnel), In Le Matin quotidian publie a Alger, 31 mai, 1994, p.11 .

لصالح هوية عالمية، جوهرها رأسمالي ليبرالي، حتى لا نقول جوهرها نيو – ليبرالي أمريكي ..[134]

فرنسا بعد اربعين عاما تاثير هاربرت ماركيز الى اليوم

أحد وعود الرئيس نيكولا ساركوزي إبان حملته الانتخابية هو "تصفية ميراث حركة مايو 1968 إذ نتائجها، من وجهة نظره، قادت إلى فقدان المعايير السلوكية وعدم احترام السلطة والتحقير من قيمة العمل". وجاء رد الفعل خصبا إذ صدرت عشرات الكتب وآلاف المقالات والدراسات وتعقد ندوات ومؤتمرات لا حصر لها وعاودت الصحف نشر مقالات الأرشيف اليومي للأحداث التي شلت فرنسا شهري مايو ويونيو عام 68. ومنذ وصول ساركوزي إلى قصر الرئاسة لا يكاد يمر أسبوع دون أن يتظاهر مئات الآلاف لرفض السياسات الجديدة التي يجسدها 55 إصلاحا غالبها يغضب المواطنين في مجالات التعليم والصحة والمعاشات وغلاء المعيشة... ويرفع البعض الشعار: "فرنسا بحاجة إلى حركة 68 جديدة وحقيقية هذه المرة"، أي بالاستيلاء على السلطة .اذن الايمكن القول ان نظرية هاربرت ماركيوز يمكن الاعتماد عليها لتفسير ما يجري في فرنسا بعد اربعين , الى جانب هذا لابد من القول أن إنسان اليوم هو نتاج عالم يختلف كلية عما كان عليه منذ أربعين سنة فعلاقته بحرب الأحلام القومية توقفت عند حدود رغباته الفردية, والسبب الأساسي جسدته مقدرة النظام الرأسمالي على امتصاص معظم المطالب الاجتماعية والثقافية والسلوكية وتبنيها لإحداث تغيرات بهذا النظام ليتأقلم مع هذه المطالب وإن كان يسخرها لاستمرار دورانه وبقائه بوجه مختلف ومستمر التجدد. فالرئيس ساركوزي وعد "أن يصبح كل فرنسي مالكا لسكنه. ومنح كل شاب له مشروع قرضا دون فوائد بضمانة الدولة." أو بحسب ما يقول المفكر "ادجار موران" :"يقوم النظام بوضع جرعة من المخدر في السلع الاستهلاكية ليستشعر الفرد حالة من النشوة المهدئة.

---

[134] – Le Matin (H. Marcuse ou le theoricien de la liberation integrade). In journal Le Matin (publie a Alger), 4 novembre 1993, p.14.

اننا نشهد عودة لمصطلح الانسان ذو البعد الواحد , المجتمع الاستهلاكي وذلك ما نلمسه من خلا ل ما كتبه جلال امين في مقال نشره [135]المعنون بـ: آخر يصور فيه بعض المشاهد لدى وصوله إلى مطار دبى أو مطار أبوظبى، حيث يتجمع عشرات العمال الفقراء، من الهند أو سيريلانكا أو بنجلاديش أو الفلبين، عند بوابات الخروج فى انتظار أقربائهم أو معارفهم لدى وصولهم، للانضمام إليهم للعمل، فى ظروف صعبة، فى هذه البلاد البعيدة عن وطنهم الأصلى، ولكنهم مع ذلك يعتبرون أنفسهم سعداء الحظ إذ أتيحت لهم هذه الفرصة لتوفير ما يمكن إرساله إلى أسرهم فى بلادهم الأصلية لتمكينهم من الحصول على الضروريات. وما قد يسمع فى الأيام الأخيرة عما يلقاه آلاف العاملين الوافدين من الهند، إلى دولة قطر، لبناء المنشآت اللازمة لدورة كأس العالم القادمة، إذ ترددت أخبار عن عدد كبير من الوفيات من هؤلاء العمال، بسبب الظروف السيئة التى يعملون فيها: ساعات عمل طويلة فى درجة حرارة مرتفعة. ويزيد من وقع هذه الأنباء قسوة المفارقة المذهلة بين معاناة هؤلاء العمال وبين الهدف الذى يبنون هذه المنشآت من أجله، وهو هدف ترفيهى بحت، وكمالى للغاية.

اليست تلك الصورة تنطبق على ما سماهم هاربرت ماركيوز ومن بعده ماركس وانجلز «البروليتاريا»: رجال ونساء لا يملكون إلا قوة عملهم، التى يضطرون لبيعها للغير فى سبيل الحصول على أجر يسدون به حاجاتهم الضرورية وحاجات أولادهم. ويوصف لنا طبقة اخرى لا يرتسم على وجوه أصحابها نفس البؤس الذى يرتسم على وجوه هؤلاء العمال، ولكن ينطبق عليهم نفس التعريف للبروليتاريا: أى أنهم أيضا رجال ونساء يبيعون قوة عملهم للغير فى مقابل أجر (أو راتب) لأنهم ليست لديهم وسيلة أخرى لكسب الرزق. إنهم تجاوزوا بكثير ما يعتبر من ضروريات الحياة: يرتدون، هم وعائلاتهم، ملابس نظيفة وأنيقة ومريحة، ويأكلون أطيب المأكولات، وقد يذهبون إلى مقار أعمالهم فى سيارات مملوكة لهم. ولكنهم «بروليتاريا»

---

[135] جلال أمين ، هل تحولنا جميعا إلى «بروليتاريا»؟ ن نشر فى : الثلاثاء 8 أبريل 2014 - 7:40 ، بوابة الشروق ،في :
http://www.shorouknews.com/columns/view.aspx?cdate=08042014&id=10b61000-ea70-4b90-857e-5c2d1ac496c3

رغم ذلك، ويلقون من المعانة فى عملهم ما لا يختلف إلا فى الشكل عن معاناة غيرهم من البروليتاريا المشتغلين بأعمال بدوية. ثم يردف هذه الصورة بالحالة الآتية:

رجل فى نحو الأربعين من عمره، يحمل شهادة جامعية، ويجيد الكلام بلغة أجنبية، ويعمل موظفا فى شركة أجنبية، ويذهب إليها كل يوم بسيارته الخاصة، ولكنه يقضى ساعة أو ساعتين كل يوم فى الذهاب، ومثل ذلك فى العودة، وقد تطول المدة عن ذلك فى ظروف المرور المألوفة لدينا. زوجته تحمل مؤهلا مثل مؤهله، وتعمل فى شركة أجنبية أيضا فى الغالب. قد يوصلها زوجها إلى عملها فى طريقه إلى عمله، ولكنها قد تستخدم سيارة أخرى خاصة. الاثنان يتركان طفلا صغيرا فى البيت مع خادمة.الأسرة الصغيرة تعيش فى شقة مفروشة جيدا، بها جهاز التليفزيون بالطبع، وثلاجة مملوءة دائما بالطعام الجيد، وما أكثر لعب الأطفال المنتشرة على الأرض، ولكن الشقة بعيدة جدا عن كل شىء، ليس فقط عن مكان العمل بل وأيضا عن أهل الزوج والزوجة، ولا داعى الآن للتفكير فى مدرسة الطفل فى المستقبل، ولا فيما إذا كانت الظروف تسمح بإنجاب طفل آخر. الحياة «مترفة»، من وجهة نظر معينة، ولكن التكاليف عالية جدا، مما استلزم هذا النوع الجديد من «العبودية». «عبودية»؟، نعم، إذا كنت مضطرا لقبول القيام بعمل لا تحبه لأن حجم رغباتك أكبر بكثير من قدرتك على تحقيقها دون قبول القيام بهذا العمل. ولكن أليس هذا هو بالضبط حال «البروليتاريا»؟ التي تبها هاربرت ماركيوزهل يهم كثيرا، ما دام الأمر كذلك، ما إذا كان ما ترغب فيه هو شراء الطعام الضرورى لأولادك، أو دفع تكاليف الدروس الخصوصية لهم أيضا أو دفع قيمة اشتراكهم فى نادٍ رياضى، أو دفع قيمة التأمين على السيارة، أو التأمين الصحى...الخ. إذا كان «الضغط النفسى» واحدا أو متقاربا فى الحالين[136]؟

ان هذه الصورة الحديثة من صور «القهر فى الخضوع لإغراء السلع الترفيهية، حتى تحول فى نظرنا الكماليات إلى ضروريات لا يمكن الاستغناء عنها، قد أدركه بعض المفكرين ولا يكاد يزيد عمرها على

---

[136] المرجع نفسه ، بوابة الشروق

خمسين عاما، هى تقريبا عمر اصطلاح «المجتمع الاستهلاكى»، إذ ان أحد المعانى المقصودة بـ«المجتمع الاستهلاكى» هو هذا المعنى بالضبط. بل لقد كانت الثورة التى قامت فى فرنسا فى 1968، وعرفت بثورة الطلاب، ثم انتشرت إلى سائر دول العالم الغربى، فى بعض جوانبها، ثورة ضد هذا النوع من القهر. والتي كان من بين الكتب التى ألهمت هذه الثورة كتاب هربرت ماركيوز (Herbert Marcuse): «الإنسان ذو البعد الواحد»، كما اشتد ساعد ناقدى المجتمع الاستهلاكى فى السنوات القليلة التالية لظهور كتاب ماركيوز. ولكن اللافت للنظر، والمدهش أيضا، كيف انحسر هذا الاتجاه بسرعة. فما ان انتهى عقد السبعينيات حتى عاد الأفراد المتمردون، والذين حاولوا اتخاذ مسار مختلف، إلى السير مع بقية القطيع، وانتظمنا جميعا، فى نفس المسار الذى خطه لنا المجتمع التكنولوجى الحديث، فلقد تمّ احتواءهمو إنهاكُهم بمتطلّبات المجتمع الاستهلاكيّ، ، ولا تعبر هذه الصورة الحديثة الا على الظلم أو القهر، وهى أن نقع فريسة للنهب الاستهلاكى.وفي نفس السياق ظهر منظّران كبيران اليوم، هما أنطونيو نيغري ومايكل هاردت، وهما ينظّران لفاعلين تاريخيين جدُد غير البروليتاريا، التي لم تعُد قادرةً على الثورة. وبعضُ رفاقهما في أستراليا يتحدّثون عن تأسيس "ماديّةٍ تاريخيّةٍ جديدة".

- **ماركيوزيه الجديدة والواقع العربي**

ان الثورات العربية او ما يمكن تسميته بالربيع العربي هي حركات احتجاجية سلمية انطلقت في بعض البلدان العربية ذات النظام الجمهوري أوخر سنة 2010 ومطلع 2011، نجحت الثورات بالإطاحة بأربعة أنظمة في كل من تونس ومصر واليمن وليبيا ، بينما عرفت دولا أخرى العديد من الاحتجاجات بعضها سلمي تزامنت مع هذه الثورات من مثل ما وقع في مملكة البحرين والجزائر والمغرب وبعضها غير سلمي من مثل ماحدث ويحدث في سوريا [137].

[137] إسماعيل حمودي،الثورات العربية: نموذج جديد في التغيير، الموقع الالكتروني:
http://hespress.com/browser=view&EgyxpID=30292

وعلى خلاف الاستنتاجات التي اقرها ومحمود عبد الغفور وعلي الجابري و هنري كسنجر وغيرهم من المفكرين والساسة على ان المنطقة العربية استثناء تستعصى عن أي عملية من عمليات التغيير فان الثورات المذكورة أعلاه حملت في طياتها شيئا جديدا غير مسبوق في التجربة التاريخية العربية ، نبرزه علي مستويين اثنيين ، الأول: طبيعتها السلمية، بحيث خرجت الملايين في مصر وتونس دون أي عنف. ولولا عنف الدولة ووسائل قمعها لما سقط شهداءاو قتلى. ويكاد الواقع نفسه ينطبق علي المسيرات التي خرجت في الأردن والبحرين واليمن والمغرب والعراق، باستثناء ليبيا وسوريا. والمستوي الثاني: أنها خرجت في منطقة من العالم اعتقد البعض تحت تأثيرات معرفية استشراقية أنها عصية على الفهم وجامدة عن كل تحول يرى خليل العناني ثمة أربع ملامح نضوج طرأت في الوعي الديمقراطي العربي شكلت عناوين اساسية رئيسة لمرحلة جديدة مختلفة: [138]

أولها، زيادة الطلب علي منظومة الحريات الأساسية كحرية التعبير وحرية التجمع وحرية التظاهر وحرية العمل السياسي. والمثير هنا أن هذا المطلب لم يعد مطلباً نخبوياً، وإنما بات أشبه بثقافة تنتقل من فئة إلي أخرى، ومن طبقة إلي غيرها، كما لو أنه "بقعة زيت" تنتشر تدريجياً عبر وسائل الإعلام، ومن خلال الشبكة العنكبوتية.

ثانيها، الانخراط الثقيل للأنتلجنسيا العربية في عملية التغيير، ودخول رموز فكرية وثقافية ظلت لفترة طويلة على الحياد، إلي ساحة النضال السياسي. واللافت أن هؤلاء جميعاً دخلوا المعترك السياسي من الباب "الشعبي" وليس عبر الأحزاب التقليدية، فضلاً عن إصرارهم على إكمال "مشوار" التغيير مهما يكن الثمن كما حدث في مصر وتونس واليمن والأردن.

---

[138] خليل العناني، الثورة المصرية وتداعياتها العربية والإقليمية، الموقع الإلكتروني
http://www.arabaffairs.org/ArticleViewer.aspxID=b6d9f916-24d6-4329-a25d-0b361a5b7ca

ثالثها، زيادة المناعة الاحتجاجية لدي شباب المعارضة الجديدة، وتراجع ثقافة "الخوف والرهبة" من السلطة تدريجياً، وهي مناعة تزداد تجذّراً كلما زادت درجة القمع وليس العكس.

واستطرادا لهذه الملامح المورفولوجية العامة لجميع الثورات و الحركات الاحتجاجية ، يرى بوحنية قوي وهو الاستاذ في علم السياسية ان هناك عدد من العناصر المشتركة بين الثورات العربية أهمها [139]:

1. الطابع الشبابي لتلك الثورات، فكلها بدأت كإنتفاضة شبابية سرعان ما انضم إليها الشعب للتحول إلي ثورة شاملة. ويمكننا أن نقارن بين حركات مثل "شباب 6 إبريل" و"شباب من أجل العدالة والحرية" و"حركة كفاية". في المقابل هناك حركات مشابهة مثل " أوتيور "في صربيا، و"كمارا" في جورجيا، و"بورا" في قيرغزستان.

2. الطابع السلمي لتلك الثورات.

3. التوسع في استخدام المنتجات التكنولوجية الحديثة، الموبايلات في بدايات القرن، وشبكة التواصل الإجتماعية (الفيس بوك والتويتر) في الحالتين المصرية والتونسية، وأيضا في مولدافيا عام 2009م.

4. السيولة التنظيمية وافتقاد الكيان السياسي المتماسك والقيادات ذات الكاريزما.

وبالتالي لم تتكمن تلك الحركات السياسية من تنظيم حزب كبير قوي يعبر عن أهداف الثورة، وكان هذا سببا في ارتباك تلك الثورات.

5 . عدم وجود قطيعة أيديولوجية مع النظام الذي ثارت ضده، نتيجة أنها ثورات ديمقراطية بلا عقائد أيديولوجية مخالفة. وهذا الأمر يختلف كلية عن الثورات التاريخية السابقة، وهو يتطلب إعادة تشكيل رؤية أيديولوجية واضحة.

---

[139] بوحنية قوي ، ثقافة الديمقراطية كمعبر "للعدالة الانتقالية"، مجلة الديمقراطية مجلة الديمقراطية الصادرة عن مركز الاهرام للدراسات الاستراتيجية ،01 جويلية 2011 في:
http://digital.ahram.org.eg/Policy.aspx?Serial=639894

وعند فحص الاسباب التي كانت الدافع الحقيقي لهذه الثورات يتراء مدى تماثل مظاهر الاغتراب من مثل التهميش واللامبالاة و العزلة واحتقار الذات ، وسلب الحقوق والحريات وهو ذات الامر الذي يذهب اليه الاستاذ ابراهيم أبراش الذي يعتقد أن الثورة المصرية كما هو الأمر بالنسبة للثورة التونسية . كانت "ثورة كل الشعب، ثورة الشاب خريج الجامعة الذي لا يجد عملا، وثورة الشاب الذي لا يجد شقة ليتزوج بها، وثورة العامل الذي يتقاضي جنيهات لا تكفي لشراء الخبز فكيف باللحمة التي لا يتذوقها إلا بالأعياد، ثورة الطبيب والمهندس وأستاذ الجامعة الذين يتقاضون راتبا بالكاد يكفيهم أجرة مواصلات وسكن،ثورة كل مواطن أُجبِرَ أن يتحول لخادم للسياح العرب والأجانب الذين يدرون دخلا بملايين الدولارات سنويا تذهب لحساب شركات السياحة المملوكة لوزير السياحة ومافيات صناعة السياحة ولدعم أجهزة القمع الرسمية، ثورة كل مواطن يقف بالطابور لساعات حتي يحصل علي خبز أو مواد تموين مدعومة، ثورة كل مواطن تُمتَهن كرامته كل يوم علي يد رجال الأمن والشرطة والمخابرات، ثورة ملايين العائلات التي تعيش بعيدا عن عائلها الذي اضطر ليعيش في الغربة لسنوات حياة شقاء لا تخلو أحيانا من إذلال حتي يوفر لأفراد أسرته الحد الأدني من العيش الكريم، ثورة التاجر الصغير وأصحاب المصانع والورش الصغيرة الذين سحقتهم مافيا شركات رجال الأعمال الكبار المحسوبين علي الحزب الحاكم والعائلة الحاكمة. إنها ثورة كل مواطن أذله القهر وامتهان الكرامة. الثورة بهذا المعني فعل مركب ومعقد ونجاحها بكل أبعادها مرهون بإعادة بناء النظام السياسي والاجتماعي بما يحقق مطالب كل فئات الشعب: العمال والفلاحون والمثقفون والطلاب والنساء الخ، أو علي الأقل يعطبهم أملا بان غدهم سيكون أفضل من يومهم[140]"

[140] إبراهيم أبراش، الثورة في العالم العربي كنتاج لفشل الديمقراطية الأبوية والموجهة، الموقع الالكتروني:
http://www.samanews.com/uploads/110325111448LA3Q.doc

مايمكن استنتاجه هو ان الماركوزية وطدت صلاتهابالواقع الذي يعيشه العالم اليوم . وهذا راجع لما يتحكم في النظرية الماركوزية من موضوعات تصب في مجملها بالأساس نحو انسداد الافاق والاحتمالات المستقبلية.

إن أزمة الرأسمالية اليوم والتي لا يتفاءل بها خيرا حتى المنظرون الاقتصاديون البرجوازيون، بالإضافة الى الاحتجاجات والثورات التي تجتاح العالم، كل هذا يؤكد انفتاح الافاق والاحتمالات لإمكانية ولادة مجتمع جديد ذو خطة إنتاج عقلانية وديمقراطية يمكن بواسطتها الرجال والنساء أن يختاروا ويتحكموا في مصائرهم كيفما أحبوا وأرادوا.

المبحث الثاني :نظرية ماركوز في الميزان

لا يمكن الحديث عن النتقادات الموجه لهاربرت ماركيوز بمعزل عن المدرسة النقدية مادام يمثل احد اقطابها فالانتقادات الموجهة إلى مفكري مدرسة فرانكفورت تكمن في اختلاف آرائهم من شخص إلى آخر، واختلاف توجهات مدرسة فرانكفورت لمابعد الحداثة عن مدرسة فرانكفورت في فترة الثلاثينيات من القرن العشرين. ، وانحرفت انحرافا كبيرا عن مبادىء الماركسية الكلاسكية كما عند الجيل الثاني من مفكري معهد فرانكفورت. وقد همشت النظرية النقدية الجديدة مع هابرماس الطبقة العاملة باعتبارها طبقة ثورية سياسية فاعلة ومغيرة.لذا، وصفت مدرسة فرانكفورت بأنها" :ماركسية بدون بروليتاريا .[141]ومن هنا، "يبدو أن مفهوم مدرسة فرانكفورت عن تدهور، أو تلاشي الطبقة العاملة كقوة سياسية، قدم أساسا على فكرة طوباوية وخيالية عن الثورة، التي هي بأية حال الطريق الوحيدة، أو الأكثر ماركسية، لتصور عملية الثورة الاجتماعية. وربما يكون هذا المفهوم قائما أيضا على انعكاس الخبرة الاستثنائية الأمريكية، الناجمة عن غياب طبقة عاملة منظمة سياسيا في المجتمع الأمريكي، على فكرهم، ولا سيما في حالة ماركوز[142].

يقول توم بوتومور في كتابه" :**مدرسة فرانكفورت**" :"وقد أخفقت مدرسة فرانكفورت في الالتزام بالطريقة القاطعة التي اقترحها هوركايمر للنظرية النقدية، حين ذكر أنها لا تمتلك المفاهيم والأدوات التصورية القادرة على سد الفجوة بين الحاضر والمستقبل[143]

ويمكن القول بأن النظرية النقدية في عمومها قد ابتعدت في مراحلها الأخيرة عن الماركسية التي انطلقت منها في بداياتها، بل اعلنت هذه النظرية فشلها حينما اعتبر هابرماس بأن نظرية مابعد الحداثة حالة مرضية؛ بسبب اختلال التوازن بين ماهو معنوي وماهو مادي.

---

[141] توم بوتومور: المرجع السابق، ص:133.

[142] توم بوتومور: المرجع السابق،ص:105-136.

[143] توم بوتومور: المرجع السابق،ص:207.

والآن يمكننا أن نبدي عدة مآخذ جوهرية حول الرؤية التي قدمها ماركيوز في مفهوم لثورة

المأخذ الأول : ضعف العلاقة ما بين العلة والمعلول في منظومة ماركيوز ، وتحول العلاقة السببية إلى مجرد تداعي صور وتناقل سلطوي ، بل إن التطابق ما بين الوجود الأجتماعي والوعي الأجتماعي ليس إلا معطى تافه ، سلبي ، في الوجود القائم .

ماركيوز ، الذي لايدرك أبداُ الحركة في العلة والمتحرك في المعلول ، يمزج ما بين ماركس الشاب ، وهيجل ، وأرسطو ، وأوغست كونت ، ليخرج لنا بمختبر خارج التاريخ ، مختبر فيه الكثير من الواقع المقيد المصفود وفيه القليل من الموضوعي .

الماخذ الثاني : غياب العلاقة ما بين العلة التاريخية والمعلول التاريخي ، فهو لايفسر الأحداث والوقائع حسب الدالات في التاريخ ، إنما يفسر التاريخ حسب مدلولات الأحداث والوقائع . لذلك هو يبدو كمحمد لطفي المنفلوطي في مؤلفه الفضيلة أو ماجدولين (المقتبس) الذي يكثر من الوصف المسهب والأحساس الفياض ليرغمنا إيجابياُ على الأقتناع بمصداقية تلك القضايا .

ولكي لانغمط عليه حقه ، أذكر فقط أنه أستند إلى الواقعة في تفسير ذاتها ، لكن هذا يتباعد كثيراُ عن منطق التاريخ حسب جوستاف لو بون ، كما أنه يصعب علينا أن نقارن ذلك بمفهوم العلة التاريخية لدى الآخرين ، كما هو الكبت لدى فرويد ، والأستغلال لدى ماركس ، والصيرورة لدى هيجل ، والأخلاق لدى سقراط ، والحدس لدى برغسون .

المأخذ الثالث : ضعف محتوى النفي الحقيقي في الطبيعة الإجتماعية لديه ، ذلك النفي الذي لايكترث لا بالإرادة ولا بالرغبة ولا بالمظهر ولا بمحتوى التلاحم الذي ركز عليه ماركيوز ، لأنه جزء فعلي من الطبيعة الإجتماعية ، وصادق في التعبير عن نفسه .

فالنفي ليس سلوك خارجي أو نتيجة مستنبطة من تطور التاريخ ، أنه مغروس غرساُ فيه ، أنه جوهر الديالكتيك الفعلي لأنه هو حقيقي أيضاُ . وربما هذا هو المعيار الأكثر وضوحاُ في تبيان المفارقة ما بين

الديالكتيك السلبي والديالكتيك الإيجابي .

المأخذ الرابع : رغم أنه يعتمد على فترة معينة من التاريخ البشري لتفسير مجمل قوانينه ، ورغم إن هذه الفترة هي من اقوى ملامح التاريخ البشري في تطوره ، إلا أنه فشل فشلاً ذريعاً في توضيح ، وفقط توضيح ، فحوى الميكانيزم في الطبيعة ، ودالة ومدلولات الصيرورة فيها ، لأنه أستند إلى حاصل النتيجة الجامدة ، وليست الحية والفاعلة ، لأنه رأى الطبيعة كوحدة أنسجام ، كحالة تلاحم ، وليس كحالة تناقض ، كحالة تتجاوز ذاتها بحكم الضرورة ووعي الضرورة المتلازمان .

وبسبب غياب أضطر أن يقدح حتى في تلك الفترة من التاريخ البشري ، و أن يسفه كل الوقائع ليعلن لنا بكل صفاقة وجلف أننا إزاء تاريخ فاشل ، تاريخ كارثي مدمر ، تاريخ خاضع للممارسة البليدة ، تاريخ المجتمع الصناعي التكنولوجي.

وكل ما نستطيع استنتاجه من بين مئات الصفحات التي كتبها ماركيوز ، حول نظرية جديدة للثورة ، هو أنه لم يأت بحل عملي، وان الصورة التي رسمها لمجتمع المستقبل و الطريق المؤدية اليه، تبدوان غامضتين تماما. فآراؤه ، بالرغم من شدة اثارتها، غامضة، فهي مزيج انتقائي لاستبصارات ذكية واحلام شعرية وجعجعة ميتافيزيائية ورحلات سريعة مربكة في تاريخ الافكار. وربما كان سبب هذا ان ماركيوز لم يكن فيلوسفا حقيقيا للثورة ، كما قد يبدو من خلال مؤلفاته ، لأول وهلة. فقد أخذ يتحدث من برج عال على قمة جبل، كعادة المثاليين الألمان.

إذا سيظل ماركيوز موضوع اختلاف وجدل بين المهتمين بالفلسفة ودارسيها، وسينقسم التاس حول آرائه وأفكاره شأنه في ذلك شأن أي فيلسوف آخر.

ومن مؤاخذاته على ماركوز، بخصوص هذه المسألة أنه يسقط في نوع من المثالية الحالمة التي تؤمن بانبعاث علم وتقنية جديدين بعد انتهاء سيطرة الإنسان على الإنسان واندثار أشكال الرقابة التي

تحول دون تحرر الإنسان؛ وهو ذاته الموقف الذي دافع عنه ماركس الشاب في مخطوطات 1844 والعديد من أقطاب مدرسة فرنكفورت أنفسهم، فيما بعد، أمثال هوركهايمر، وأدورنو وغيرهما، بصيغ متخفية ومواربة[144].

وحجة هابرماس على ما يقول، نص صريح لماركوز يقول فيه: "ولكن ما أحاول أن أبينه هو أن العلم قد اتخذ بفعل منهجه ومفاهيمه، وسيلة لتعزيز عالم ظلت فيه السيطرة على الطبيعة مرتبطة بالسيطرة على الإنسان. فالطبيعة، المعقولة والملجومة من قبل العلم، ما تزال ماثلة في جهاز الإنتاج والتدمير التقني الذي يضمن للأفراد حياتهم ويسهلها، والذي يخضعهم في الوقت نفسه لأرباب الجهاز. وهكذا يتداخل تسلسل العقل الهرمي مع تسلسل المجتمع الهرمي. ومن هنا أقول: إنه لو طرأ تغير على اتجاه التقدم فحطم العلاقة الوثيقة القائمة بين عقلانية التقنية وعقلانية الاستغلال، لطرأ أيضا تغير على بنية العلم بالذات. وفي مثل هذه الحال ستتطور فرضيات العلم، من غير أن تفقد طابعها العقلاني في سياق تجريبي مغاير تماما (سياق عالم تمت تهدئته)، وسينشيء العلم بالتالي مفاهيم عن الطبيعة مغايرة كليا وسيقرر وقائع مغايرة جوهريا.

وكأن ماركوز، من خلال هذا النص، يلوح بإمكانية وجود علم غير مرتبط بالسيطرة، اي علم متحرر وتحرري، أي علم لا تشد فيه التكنولوجيا قبضتها وهيمنتها تدريجيا على الطبيعة لكي لا يشدد الإنسان قبضته على الإنسان ويحكم هيمنته تدريجيا عليه. أي أن صاحب كتاب الإنسان ذي البعد الواحد، يتناسى أن ثمة ارتباطا وثيقا بين التقنية مثلما هي متداولة في الازمنة الحديثة والمعاصرة وبين بنية النشاط العقلاني المتجه نحو تحقيق غايات محددة: وهو ما يفسر ضرورة الأشكال المتعددة للرقابة والاحتكام إلى النجاعة والإنتاجية. وكأن تاريخ التقنية هو تاريخ لإضفاء الموضوعية والأداتية على النشاط العقلاني للإنسان بالتدريج وعليه لا يتصور هابرماس كيف يمكن التخلي عن التقنية، عن هاته التقنية

---

[144] هربرت ماركوز، **الإنسان ذو البعد الواحد**، ترجمة ج. طرابيشي، بيروت، 1971، ص37.

لصالح أخرى تختلف عنها اختلافا نوعيا تكون فيها الطبيعة شريكا للإنسان بدلا من أن تظل موضوعا لاستغلاله[145].

وبهذه المناسبة يدعو هابرماس إلى ضرورة القيام بمراجعة نقدية للعديد من الأطروحات الأساسية التي يستند إليها ماركوز والتي هي، نوعا ما، أطروحات تنتمي إلى المادية التاريخية. لا بد في اعتقاده من إضفاء صفة النسبية على مجال انطباق مفهوم الإيديولوجيا ونظرية الطبقات واللذين يشكلان الإطار المفاهيمي الذي ضمنه بلور ماركس الفرضيات الأساسية للمادية التاريخية، كما لابد من إعادة صياغته انطلاقا من اعتبارات جديدة. وهو هنا يقترح استبدال الزوج: قوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج، بزوج آخر أكثر تجريدا هو العمل والتفاعل. فعلاقات الإنتاج تميز مجالا لم ينغرس فيه الإطار المؤسسي إلا خلال المرحلة الرأسمالية الليبرالية من تطوره؛ أما قبلها أو بعدها فلا. صحيح أن قوى الإنتاج، حيث تتراكم عمليات التعلم المنظمة في الأنظمة الفرعية للنشاط العقلاني الهادف إلى تحقيق غايات محددة، شكلت منذ البدء محركا للتطور، إلا أنها، على ما يبدو، وخلافا لما تصوره ماركس، لا تشكل طاقة ثورية محررة في كل الظروف والأحوال تسير دوما في اتجاه الانعتاق. على أية حال، لم يعد صحيحا منذ أن أصبح النمو المتصاعد لقوى الإنتاج تابعا لوتيرة التقدم العلمي والتقني والذي هو تقدم يقوم بأداء وظيفة إضفاء الشرعية على السيطرة. ويفترض هابرماس أن النظام المرجعي القائم على العلاقة بين الإطار المؤسسي (أي التفاعل) وبين الأنظمة الفرعية للنشاط العقلاني الهادفة إلى إنجاز غاية محددة (أي العمل بمعناه الواسع) أكثر ملاءمة لإعادة بناء تاريخ المراحل الاجتماعية . الثقافية التي مرت بهاالبشرية[146].

---

[145] . هربرت ماركوز، **الإنسان ذو البعد الواحد**، المرجع نفسه، ص 45.

[146] المرجع نفسه ،ص. 187.

عموماً نالت نظرية ماركيوز شهرة واسعة بعد الأحداث الطلابية (الثورة الجنسية و الثقافية و التعليمية) و الإضرابات العمالية في باريس ، ليصبح ماركيوز الفتى المدلل لدى المثقفين و الأكاديميين و الجيل الشاب الطلابي ، و لكن سرعان ما بدأت نظريته بالانحسار لتحل محلها موجة ما بعد البنيوية و ما بعد الحداثة ، ... و بغض النظر عن راهنيّة النظرية النقدية أو تحولها إلى مجرد تراث علمي متحفي ، فإننا نرى أنه من الضرورة لأي مثقف يريد تكوين صورة عن النظام العالمي الجديد و فهم آليات الهيمنة التمعّن في نظرية ماركيوز ...

أخيراً نقول إن دولة الرفاه بدأت بالتراجع منذ بداية الثمانينات مترافقة مع صعود اليمين السياسي الذي توج مؤخراً بالتحاق فرنسة بركب النظام السياسي الأوربي .

و لنتذكر إن الوضع المعاشي يتراجع بإطراد في أوربة إضافة إلى أن الفئات المنبوذة و خصوصاً الملونين و المعذبين تزداد مشكلاتهم تفاقماً (و الذين أصبحوا يشملون كل سكان الجنوب و الفئات المنبوذة في المجتمع الغربي) ، لكن مع إقرارنا بأن الوعي البشري مازال مخترقاً بماكينة إعلامية أصبحت أقوى بكثير مما كانت عليه أيام ماركيوز ، بل إنها العصب الرئيسي لنظام العولمة.

و لكن رغم ذلك فالقمع السافر ما زال مطروحاً ضمن بينة النظام الرأسمالي حتى في المركز لا سيما حين يتم خرق تابوات رأس المال ، هذا ما تجلى في اقتحام رجال البوليس الفرنسي حرم السوربون الجامعي منذ عامين لينهالوا بالضرب على الطلبة المعتصمين ، ...

و رغم أن التظاهرات ضد العولمة و الحرب كانت تطوراً في التململ و الاستياء في المركز، إلا أنها لا تعكس تجذر وعي نوعي جديد رافض لمنظومة الهيمنة ككل ، كما أن الوعي العام السائد مازال نابعاً من ضمير مخدّر لا يهمّه سوى حل إشكاليات رفاهه و إن كان الأمر على حساب شعوب الجنوب .

و بالمقابل فإن أمريكة اللاتينية ترهص بشبح التغيير كما يبدو من مثال شافيز ، مما يجعلنا نقول إن موضوعة أقطار العالم الثالث لم تفقد قيمتها بعد...

و عموماً ستظل مفهوم الثورة الذي تطرّق له ماركيوز مسألة من أهم مسائل التي تدفع بالمفكرين في ظل عالم تعِس ممزق ما زال فيه الإنسان رغم ارتقائه الحضاري بعيداً عن تحقيق سمتيه الأساسيتين : القدرة على اتخاذ القرارات و القدرة على تحويل بيئته .

خاتمة

يمثل هاربرت ماركيز علامة بارزة في الفكر الغربي المعاصر ، وقراءة فكرهقراءة نقدية واعية تقود إلى الحيرة والإعجاب والدهشة ، فالرجل يحمل تناقضات منهجية في تصوره ، أي عالمه الفكري الذي مر بتحولات واضطرابات في تقويمه للأفكار والأشياء والمواقف ليس هذا فحسب ,بل أن حياته وسيرته وتنقلاته وارتباكاته تثير علامات استفهام كثيرة ,من هنا فان التحفظ في قراءة فكره عملية مشروعة ومطلوبة خصوصاً فيما يتعلق بمواقفه الخاصة من الدول ,ومن الأنظمة ومن القضايا السياسية.

لقد قدم الفيلسوف الألماني هربرت ماركيز مشروعا مهما لنقد السياسة الليبيرالية التي فرضت سيطرتها على المجتمعات المعاصرة ، استند فيه إلى أطر فلسفية مثلت رافدا أساسيا من روافد نقد لغة السياسة ؛أهمها الفلسفة الماركسية،والفلسفة الهيجيلية والفلسفة الفرويدية والنظرية النقدية التي تأسست في معهد فرانكفورت للعلوم الاجتماعية والتي تعرف بـ «مدرسة فرانكفورت». ولا يمكن الحديث عن ماركيوز الا في اطار ما قدمته هذه المدرسة والتي تعرف ايضا بالنظرية النقدية.

لقد كانت «النظرية النقدية» مشروعا فلسفيا لنقد الهيمنة والتحكم . وكانت لغة السياسة، بوصفها مظهرا من مظاهر الهيمنة والتحكم وأداة له في الوقت ذاته، موضوعا لممارستهم النقدية .ولهذا بالذات كانت مهمة مدرسة فرانكفورت نقدية خالصة للمجتمع وللحضارة الغربية في تيارها الاجتماعي أو النفسي، ولأن النقد البناء يفضح النظام ويكشف الحقيقة، ويقود إلى الوعي والتفكير وهي منطلقات أي ثورة وتحرر، كما أن النقد يبين الشروط الفعلية لممارسة السلطة داخل أي مجتمع من خلال التحليل الاجتماعي لبنية السلطة، لهذا كان النظام في المجتمع الغربي يحرم النقد لأنه يقود إلى ثورة اجتماعية تطيح به وتفقده امتيازاته.

كان ماركيوز أحد أبرز أعضاء هذه المدرسة، وربما كان من أكثرهم بهذا الشان.

اننا ندرك أن أفكار ماركيوز تمثله وحده، لكنها في الوقت ذاته تعطي صورة قد تكون دقيقة، لمقاربة مدرسة فرانكفورت بوجه خاص، والمقاربة الماركسية بوجه عام، للسياسة الليبيرالية وكلا المقاربتين كان – ولا يزال– ذا تأثير كبير في الفكر الغربي المعاصر.

وتعد كتابات ماركيوز في هذا السياق من أهم ما كتبه الرعيل الأول من مؤسسي النظرية النقدية، فيما يتعلق بنقد السياسة اليبيرالية ، والمتعلقة بمفهوم الثورة عنده ومنها «الإنسان ذو البعد الواحد»، و«مقال في التحرر». و «الجنس والحضارة »ومؤلفه «العقل والثورة» وبهذا فقد شكل المشروع الفلسفي لماركيوز محاولة منقطعة النظير لنقد المجتمع الغربي وتسلط نظامه وحضارته القمعية، مما أفضى بنا إلى النتائج التالية:

–إن وظيفة الفلسفة ليست الحفاظ على الواقع الكائن وتركه كما هو في اعتقاد ماركيوز، بل نقده. وهو ما يتطلب تجاوز وصف الوقائع المعطاة إلى التفاعل معها وكشف القناع عما تخفيه. فللفلسفة لا تتصالح مع المجتمع القمعي السلطوي بل تقاومه. ومن ثم يمكن أن نتفهم النبرة التهكمية اللاذعة التي تسري في تفنيدات ماركيوز لمبادئ الفلسفة المعاصرة، التي تقع على طرف النقيض من تصوراته عن الفلسفة، التي يمارسها إن هذا التوجه نحو السياسي والاجتماعي عند ماركيوز ليس سمة التحليل النقدي المبتغى فحسب، بل سمة الفلسفة الحقة؛ أي الفلسفة العلاجية. ولكي تقوم الفلسفة بمهمتها العلاجية في «عالم كلي استبدادي» يجب أن تكون هذه المهمة سياسية.

–ضرورة التميز بين العنف المشروع والعنف غير المشروع،الاول عنف بّناء يساعد على التغير والتطور بل وعلى السيرورة التاريخية، والعنف الهدام الذي يدمر الحضارة والمجتمع والفكر ويدعو إلى التخلف والرجعية والفوضوية، وهذا التمييز هو الذي دفع ماركوز إلى أن يدافع عن االثورة من حيث إنها وسيلة للقضاء على القمع والتسلط وأساس التحرر ,لهذا فالضرورة الفكرية تفرض هذا التمييز حتى لا نقع

في تبرير أعمال غير مشروعة لذا يجب تجاوز فلسفة الإنسان ذي البعد الواحد، ولقد أكد ماركوز كل ذلك بفضل النقد الذي وجهه للحضارة والمجتمع الغربي في نظامه السياسي المتسلط واقتصاده الاستهلاكي، مما جعل خطاب الثورة يعود في مثل هذه المجتمعات المغلقة.ولكن تبقى أهم وسيلة في يد الأفراد للقضاء على الاستغلال والاضطهاد والانتقال من مجتمع العبودية إلى المجتمع المتحرر.

– يمكن النظر إلى مشروع هاربرت ماركيوزعلى أنه طرح متشائم لوضعية الإنسان في العالم المعاصر. وذلك استنادا إلى معطيات فعلية، من قبيل شيوع نبرة اليأس من إمكانية قيام الثورة في المجتمعات الصناعية، والتركيز على مظاهر سيطرة المؤسسات التي تخدم مصالح القلة على عقول الشعوب ونفوسها. وأخيرا قصر احتمالات التغيير على تحرك جماعات المهمشين من المنبوذين اجتماعيا والعاطلين عن العمل والأقليات العرقية. . إلخ. وهي جماعات لا تشي قدراتها الفعلية بإمكانية التغيير. لكن ماركيوز،ابدى تفاءلا كبيرا. وقد يرجع ذلك إلى أنه وزَّع المهام التي يمكن من خلالها تحرير المجتمع المعاصر من السياسة الليبيرالية. فالحل الشامل سوف يتحقق عن طريق إكساب الأفراد وعيا حقيقيا بالعالم،. وهكذا يرتبط ظهور هؤلاء الأفراد بنشأة ضمير نقدي، يمكنهم من إدراك «حقيقة» هذا العالم وتغييره. هذا الضمير النقدي هو دور الفلسفة النقدي التي«تفجر عالم الإنشاء المغلق وبنيته المتحجرة»

– كان الهدف الأكبر عند ماركوز من تجاوز القمع بالثورة والقضاء على التسلط هو التحرر وتحقيق السعادة .ولا يكون ذلك إلا بالوعي العقلاني، وبتحرير الغريزة الجنسية، والقضاء على ثقافة الاستهلاك التي جعلت من الإنسان أحادي البعد في كل شيء إلى درجة تحديد وجوده الإنطولوجي حيث أصبح الشعار هو"**أنا أستهلك إذاً أنا موجود** "ولذا يقف ماركوز موقفاً مخالفاً لفرويد الذي يؤمن بالقمع، لأنه حسب هذا الأخير، تحرير الغريزة تدمير للحضارة، أما ماركوز فيرى في تحريرها بناء لمجتمع غير تسلطي غير قمعي وصولاً إلى معقولية جديدة ووعي ثوري، ولهذا فهو يختلف نسبياً مع

فرويد وماركس خاصةً في موقفه من الثورة، فماركوز ماركسي لكنه ليس مثل ماركس بمعنى أنه يستمد من الفكر الماركسي بعض الأفكار لكن لا ليتبناها بل ليوظفها في تحليلاته ونقده للمجتمع الغربي، سواء الرأسمالي وليبراليته وبرجوازيته التي قادت إلى الاغتراب والاستلاب، والإنسان الاستهلاكي ذو البعد الواحد، أم المجتمع الشيوعي الذي قاد إلى الديكتاتورية والإرهاب، ولذا لم يكن ماركوز لا ليبرالياً ولا شيوعياً بل كان مفكراً ناقداً، حيث نقد دولة الرفاه ليبين أن هذه الدولة تنعدم فيها الحرية، فلا بد من الثورة والتي تعد أساس التغيير، رغم أن مفهوم وهدف الثورة عند ماركوز يختلف عنه في الفكر الماركسي، كما أن ماركوز كان يأمل في ثورة تقودها الطبقة العاملة، إلا أن دمجها في النظام أفقدها صفة الثورية، لهذا بشر ماركوز بثورة يقودها المهمشون والعاطلون من العمل والطلبة وأصحاب المعازل وحتى الفئة النسوية لما تعانيه هذه الفئات من قهر وتسلط واستغلال، بالرغم من أن هذه الثورة العمالية ستواجه بثورة مضادة من طرف النظام ومن يساندونه.وكذلك فإن ماركوز فرويدي ، لكنه ليس مثل فرويد، فهو يؤمن بدور التحليل النفسي للحضارة للكشف عن مظاهر تعطلها ونكوصها، بل ودمارها فإذا كان فرويد يرجع سبب دمار الحضارة إلى تحرير الغريزة الجنسية، فإن ماركوز يعترض على هذا الرأي و يرى العكس، حيث يرجع سبب دمار الحضارة إلى قمع هذه الغريزة، التي تقود إلى البناء بشرط تحريرها، فمنذ القديم والفرد تكبت رغباته وغرائزه في مجتمع بني على القمع والكبت بالأساس، مما خلق قلقاً أو مرضاً في الحضارة، لأن الآباء ثم السادة هم من كان يحتكر السلطة، ولما بدأ تاريخ الوعي بدأ التحرر وظهرت الحضارة، لكن مع نمو الأنظمة الحديثة والمعاصرة عاد هذا التسلط وفي أكبر أشكاله وصوره، فلابد من العمل على

التحرير، وأن الاستغلال العقلاني والواعي لهذه الغريزة سيبرز الحضارة ويقود إلى الإبداع في الفن والثقافة فتزداد المعقولية والوعي أكثر في التحرر والقضاء على الاستغلال.

_حتى يكون التحرير والتغيير لابد من الوعي، لأن للوعي العقلاني دوراً كبيراً في التغيير، وإن

درجة وعي أي شعب هي التي تؤكد درجة حريته، ولقد لاحظ ماركوز أن العقل في المجتمع الغربي مغيب، مما جعل الفرد يعيش في صنمية بل وأصبح مشيئًا فقد من خلال ذلك كل أبعاده بل وفقد إحساسه بالفن والجمال وحتى إنسانيته، وعليه فوعي الحرية يعني وعي التحرر في جدلية التسلط والعقل والأنوار، لإخراج العقل من اللاوعي أو اللاشعور سواء الفردي أو الجمعي، كما يجب توجيه العقل من اكتشاف الطبيعة إلى اكتشاف الذات وهو ما كان غائبا في الحضارة الغربية، فلا بد أن يكون العقل هو السلطة العليا في الإنسان، لأن العقل يساوي الحقيقة، يساوي الواقع وهي الثلاثية التي أدركتها فلسفة الأنوار وغابت عن العقل الغربي المعاصر، ولأن خطر العقل المستنير دفع النظام إلى إيجاد نموذج للعقل والتفكير وأراد فرضه على الفرد والمجتمع، واستعمل في ذلك سلطة التكنولوجيا، لهذا يعتقد ماركوز أن الثورة الفعلية يجب أن تبدأ أولا من الوعي قبل الثورة السياسية، ويسند هذه الثورة الفكرية وإيقاظ الوعي إلى الفلسفة، التي توقظ ملكات الإنسان وتدفعه إلى التفكير، ومن ثمة التغيير.

_ولحدوث هذا التغيير والتحرر لا بد كذلك لفئات المجتمع، كطبقة العمال والمعارضة والطلبة أن تعي دورها التاريخي، ولابد من العمل على وعيها فماركوز يعول على هذه الفئات خاصةً بعد أن فقد الأمل في الطبقة العاملة البروليتاريا التي أدمجت في المجتمع البرجوازي الذي منحها بعض الحاجات والرغبات المزيفة، وعليها ألا تنخدع بما يمنحه النظام من تحقيق بعض الاحتياجات والتسامح الشكلي هذا التسامح في الحقيقة هو الذي قاد إلى تسلط قمعي وقمع سلطوي، رغم أنه تسامح في ظل النظام الديمقراطي، وما ديمقراطية هذه الأنظمة إلا ديمقراطية زائفة على الرغم من أن ماركوز يفضلها على باقي الأنظمة.

–عند تجاوز كل ذلك نصل إلى حضارة ومجتمع يمكن فيهما للإنسان أن يعبر عن وجوده الحقيقي، ويحقق حريته وسعادته، كما يمكن أن تكون له حساسية جديدة تعبر عن الفن والثقافة في ظل نظام يقبل الآخر ويتعايش معه لأنه ليس للتحرر أبعاد سياسية فقط، بل وحضارية وثقافية وجمالية.

وبهذا نستطيع أن نقول إن تشخيص ماركوز لواقعه وأمله في الثورة لإحداث تغييرات في السلطة والمجتمع والسياسة وحتى الاقتصاد ,حلم, لكنه حلم واقعي لا خيالي وهو كثيراً ما وقف في دراساته ضد الفكر اليوتوبي أوالخيالي والوثوقي، لأنه كان يهدف من خلال نقده الشامل، إلى تحقيق الحرية والتحرر كمطلبين أساسيين، والقضاء على الاضطهاد والاستعباد، وهو ما يجعلنا نقول عن فكره انه فكر ناقد لا فكر حالم، رغم ان فؤاد زكرياء في دراسته لماركوز يقول عن فكرة الثورة عند هذا الأخير " :لقد حاول ماركوز أن يشعل نار ثورة من نوع جديد، لكنه أخفق لأنه ظل على الدوام فيلسوفاً حالماً لا ثورياً واقعياً "، لكن أليس من حق الفلاسفة أن يحلموا هذا الحلم الذى سرعان ما بات حقيقة امام ما يعيشه الانسان اليوم في ظل هيمنة الانظمة الدكتاتورية التي كرست سياستها في امتصاص غضب الجماهير ،

ولهذا تبقى نظرية ماركيوز الثوريه تدفعنا الى قراءتها قراءة متجددة حاضرا ومستقبلا.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المراجع والمصادر

مؤلفات هربرت ماركوز/.

1المترجمة إلى اللغة العربية

.1هربرت ماركوز، الماركسية السوفياتية، ترجمة جورج طرابيشي، بيروت :دار الطليعة، ط1 1965م.

.2هربرت ماركوز، نحو ثورة جديدة، ترجمة عبد اللطيف شرارة، بيروت :دار العودة،) د ط(1971م.

.3هربرت ماركوز، نحو التحرر_فيما وراء الإنسان ذي البعد الواحد _ترجمة إدوارد الخراط بيروت :منشورات الآداب، ط 1972 ، 1م.

.4هربرت ماركوز، العقل والثورة_هيجل ونشأة النظرية الاجتماعية _ترجمة فؤاد زكرياء بيروت :المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط 1979 ، 2م.

.5هربرت ماركوز، البعد الجمالي، ترجمة جورج طرابيشي، بيروت :دار الطليعة، ط 2 1982 م.

.6هربرت ماركوز، الإنسان ذوالبعد الواحد، ترجمة جورج طرابيشي، بيروت :دار الطليعة ط 1988 ، 2م.

2007م.

.9هربرت ماركوز، الثورة والثورة المضادة_نحو حساسية ثورية جديدة _ترجمة جورج

- طرابيشي بيروت :دار الآداب،) د ط(،) د ت
- (هربرت ماركيوز، نظرية الوجود عند هيجل، أساس الفلسفة التاريخية، ترجمة وتقديم وتعليق: إبراهيم فتحي، المكتبة الهيجلية بإشراف د. إمام عبد الفتاح إمام، الطبعة الأولى، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، 1984م

_2المترجمة إلى اللغة الفرنسية

1. Herbert Marcuse : La fin de l'utopie, éd. de seuil, Paris, 1968.
2. Herbert Marcuse : Critique de la tolérance pure, éd. John Didier, Paris 1969.
3. Herbert Marcuse : Philosophie et révolution, éd. de Denoël, Paris, 1969.
4. Herbert Marcuse : Culture et société, éd. de Minuit, Paris 1970.
5. Herbert Marcuse : Pour une théorie critique de la société, éd. Denoël/ Gonthier, *Paris, 1971.*

6. Herbert Marcuse : Actuels, éd. Galilée, Paris, 1979.

مقابلات واستجوابات ومناقشات لماركوزII- :

1. Herbert Marcuse : Ayez une entrevue avec pierre viensson ponte .traduit par .Anna Fremantle. Le monde. Paris. Juin. 1969. Source. Archive. De.

Marcuse.

مراجع حول هربرت ماركوز*III*- :

1حسن محمد حسن :النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت _ماركيوز نموذجاً _دار الوفاء لدنيا 2001م ،)الطباعة والنشر، الإسكندرية،) ط1

2سهير عبد السلام :مفهوم الاغتراب عند هربرت ماركوز، دار المعرفة الجامعية، مصر)د ط(، 2003 م.

.5)فؤاد زكرياء :هربرت ماركيوز، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر،) ط1 2004م.

.6محمد الجوة :مفهوم القمع عند فرويد وماركوز، ترجمة فتحي الرقيق، دار الفارابي، بيروت 1999م .،)لبنان،) ط1

.7يوسف سلامة :من السلب إلى اليوتوبيا_دراسة في هيجل وماركيوز _دار حوران للطباعةوالنشر والتوزيع، دمشق، سورية، ط 2006م .

- أحمد قيس هادي، الإنسان المعاصر عند هربرت ماركيوز، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 1980
- بيتر تامبسون، مدرسة فرانكفورت، القسم الرابع: هربرت ماركيوز..ترجمة هشام عمر النور

- **مراجع عامة*IV*- :**

- السيد علي شتا، .التنظيم الاجتماعي وظاهرة الاغتراب. دار الإصلاح للطباعة والنشر، الدمام، المملكة العربية السعودية1984
- بيتر تامبسون، مدرسة فرانكفورت، القسم الرابع: هربرت ماركيوز..ترجمة هشام عمر النور
- تد هوندرتش ، دليل اكسفورد للفلسفة ،الجزء الاول ، ترجمة نجيب الحصادي ، ليبيا : المكتب الوطني للبحث والتطوير
- جمال سيوفي ، مالفيلولوجيا (القاهرة :دار النهضة العربية ،1984)
- حليم بركات ، المجتمع العربي المعاصر :بحث استطلاعي اجتماعي بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ط.6 نوفمبر 1998
- حمانة البخاري ، فلسفة الثورة الجزائرية ، (الجزائر : دار الغرب للنشر والتوزيع ، 2005)

- سهل راشد علي، ومصري عبد الحميد،حنوزه، مستوى الإحساس بالصدمة وعلاقته بالقيم الشخصية والاغتراب، والاظطرابات النفسية عند الشباب دراسة ميدانية، مجلة العلوم الاجتماعية" ، العدد الثاني، 2001جامعة الكويت
- محمد عمارة ، الاسلام والثورة ، القاهرة : دار الشروق
- علي الدين هلال و نيفين مسعد :**المعرفة الانسانية : قضايا الاستمرار والتغير**، (بيروت :مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، 2002
- عواطف عبد الرحمن ، النظرية النقدية فى بحوث الاتصال دار الفكر العربى ، القاهرة ، 2002
- علاء طاهر ،مدرسة فرانكفورت من هوركهايمر الى هابرماز :مدخل الى نظرية النقد المعاصر (بيروت :مركز الانماء القومي)
- عبد الواحد منذر ، الحركات الاسلامية والتغيير ، عمان :دار الكتاب الاكاديمي ،ط.3، 2001
- كمال بومنير ،التظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت : من ماكس هوركهايمر الى اكسيل هونيث ،منشورات الاختلاف ،الجزائر ،2010
- قريطي عبدا لمطلب أمين، عبد العزيز السيد، الشخص، . 1991 دراسة ظاهرة الاغتراب لدى عينة من طلاب الجامعة السعوديين وعلاقتها ببعض المتغيرات ، -85الأخرى .مجلة رسالة الخليج" ، ع 5، م 18
- محمود محمد طه ،الثورة الثقافية ، القاهرة : دار المعارف ،ط.4 ، مايو 1972
- هانى خميس، النظرية النقدية و ازمة علم الاجتماع: دراسة تحليلية لكتابات مدرسة فرانكفورت ، رسالة ماجستير غير منشورة ، قسم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة الاسكندرية ، 2002
- هوركهايمر ماكس، النظرية التقليدية والنظرية النقدية، ت: مصطفى الناوي، عيون المقالات، ط01، بيروت، 1990،
- شاتلي فرونسوا، تاريخ الأفكار السياسية، ت: خليل أحمد خليل، معهد الإنماء العربي، ط01، بيروت،1984
- كارل ماركس، موضوعات فيورباخ، ملحق في فردريك انجلس: لودفيغ فورباخ ونهاية الفلسفة الكلاسيكية الألمانية، دار التقدم، موسكو، 1971م
- الطيب تيزيني، على طريق الوضوح المنهجي) بيروت :دار الفارابي، ط 1989 ، 1م
- نيتشه فريدريك، أفول الأصنام، ت:حسان بورقيه.محمد التاجي، إفريقيا الشرق، بيروت، 1966

- يوسف سلامة، من السلب إلى اليوتوبيا_دراسة في هيجل و ماركوز)_دمشق :دار حوران للطباعة والنشر والتوزيع .سورية، ط 2006 ، 1م2

V- مجلات والدوريات، المقابلات والحوارات والإنترنت :

- 1 محمد علي عبد الخالق ، الثورة من وجهة نظر فلسفية ، مجلة السياسة الدولية ، القاهرة ،مركز دراسات الاهرام ، العدد 1002
- محمد عوض علي ، الشباب الجامعي والحركات الطلابية ، ، مجلة العلوم الاجتماعية، المجلد 2 . العدد 2017
- عمار عكاش، قراءة في كتاب الإنسان ذو البعد الواحد لهربرت ماركيوز :من القمع السافر إلى الهيمنة ، الحوار المتدمن ، العدد 2062 بتاريخ 8-10-2007
- محاضرة الثورات الإسلامية والتحديات ألقيت على المعسكر الإسلامي العالمي بدعوة اتحاد طلاب جامعة أم درمان الإسلامية شعبان 1400هـ المواقف يوليو 1980م

. Le Matin, (Herbert Marcuse, l'homme unidimensionnel), In Le Matin quotidian publie a Alger, 31 mai, 1994,

-Le Matin (H. Marcuse ou le theoricien de la liberation integrade). In journal Le Matin (publie a Alger), 4 novembre 1993

VI- قائمة المعاجم والقواميس والموسوعات :

1_ المعاجم والقواميس:

أ (باللغة العربية:

- ابن منظور، لسان العرب المحيط، ج.3 (بيروت:دار لسان العرب، ب.ت.ن) ص.1011
- المصباح المنير للفيومي، المطبعة الأميرية بالقاهرة، ط5، 1922م. ص: 121، و مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2004م.
- أندريه لالاند ،موسوعة لالاند الفلسفية ،المجلد الثالث ،ترجمة خليل أحمد خليل ،بيروت :منشورات عويدات
- جميل صليبيا ، المعجم الفلسفي :بالالفاظ العربية والفرنسية والانكليزية واللاتينية ،بيروت :دار الكتاب اللبناني
- عبد الوهاب الكيالي ، موسوعة السياسة (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر)
- عبد الله فهد النفيسي ، دور الطلبة في العمل السياسي ، الكويت : الهيئة التنفيذية للاتحاد الوطني لطلبة الكويت ، فبراير 1986

ب (باللغة الفرنسية:

1. Robert (P) Dictionnaire le Robert, alphabétique analogique de la langue française, Paris, société de nouveau livre, (SNL), 1978.

2. C.Tontons etal: the oxford dictionary of English, etymology oxford clacrendon, press, 1966.

_2الموسوعات:_____

.1أندري لالاند :موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب :خليل أحمد خليل، إشراف :أحمد عويدات منشورات عويدات، بيروت، باريس، ج3 ، ط 2001 ، 1م.

.2عبد الوهاب اللبيالي :موسوعة السياسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ج3 ، ط2 1990م.

.3مجموعة من المؤلفين :الموسوعة الفلسفية العربية، معهد الإنماء العربي، المجّلد الأول، ط1 1986م.

.4وضع لجنة من العلماء والأكاديميين السوفياتيين، الموسوعة الفلسفية بإشراف :م.روزنتال وب.يودين، ترجمة سمير كرم، دارالطليعة، بيروت، لبنان، ط 1985 ، 5م

فهرست المحتويات

فهرست المحتويات

مقدمة:.....أ-ز

الفصل الأول : كرونولوجيا البحث في مفهوم الثورة.....09

المبحث الأول :ماهية الثورة ومشكلات التفسير.....10

1 ـ 1 ماهية الثورة.....10

1 -2 الثورة والمصطلحات المشابهة لها 13

1-3 انواع الثورات.....17

المبحث الثاني : اتجاهات تفسير ظاهرة الثورة.....22

1 ـ 1 2-1 الاتجاه الفلسفي في تفسير ظاهرة الثورة 22

1 ـ 2 الاتجاه السوسيولوجي في تفسير ظاهرة الثورة 24

1-3 الاتجاه السياسي في تفسير ظاهرة الثورة.....27

1-4 الاتجاه الديني في تفسير ظاهرة الثورة.....31

الفصل الثاني : سؤال الثورة عند هاربرت ماركيوز..... 37

المبحث الأول :ثورة النقد عند مدرسة فرانكفورت.....38

1-1 مدرسة فرانكفورت ومفهوم النظرية النقدية.....39.

2-1 هاربرت ماركيوز ونقد المجتمع المعاصر.....46

المبحث الثاني :مفهوم الثورة عند هربرت ماركيوز 55

1-1 الثورة الانطولوجية الاجتماعية.....57

2-1 تصور مفهوم الثورة عند هاربرت ماركيوز.....59

3-1 الثورة المؤجلة.....66

الفصل الثالث: تجليات مفهوم الثورة عند هربرت ماركيوز في الفكر الفلسفي المعاصر

المبحث الأول : .ماركيوز واقع ومآلات 73

1 1 امتدادات الحركة الطلابية.....75

1 2 اليسار الجديد ومفهوم الثورة.....83

1 3 الماركيوزية الجديدة والواقع العربي 87

المبحث الثاني: نظرية ماركيوز في الميزان 92

خاتمة:.....100

قائمة المراجع والمصادر 107

الفهرس.....